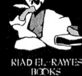


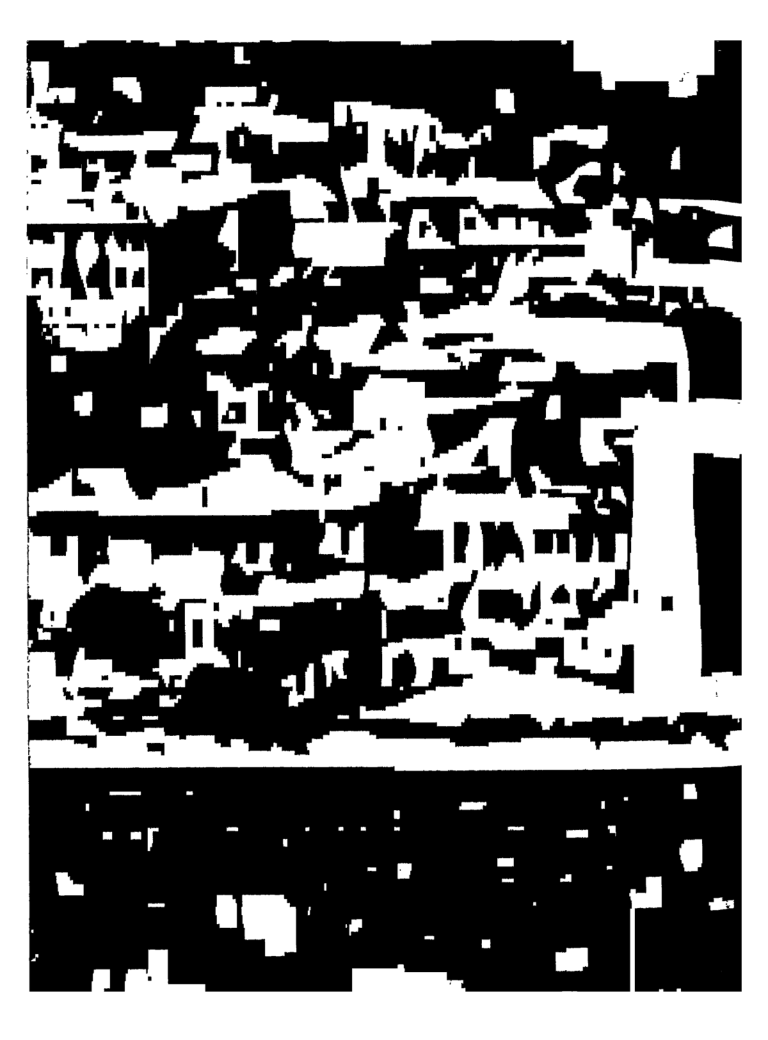
بيروت في البال

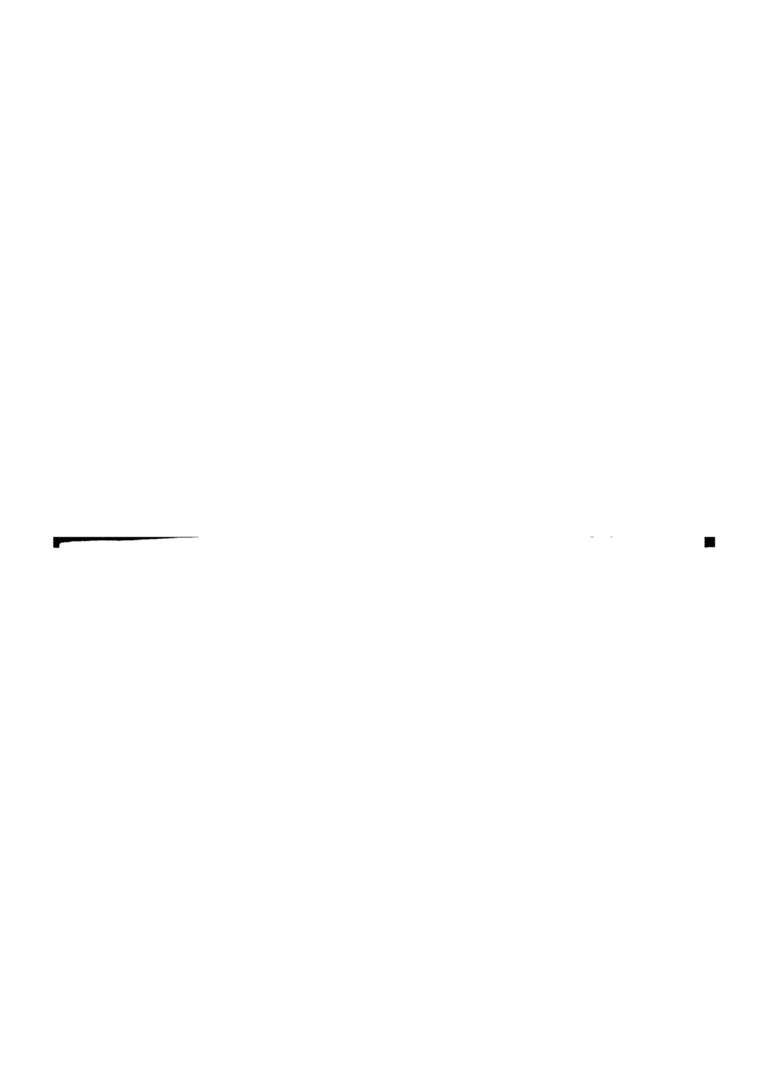
رياض جركس

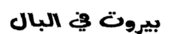


RIAD EL-RAYYES
BOOKS








بيروت في البال

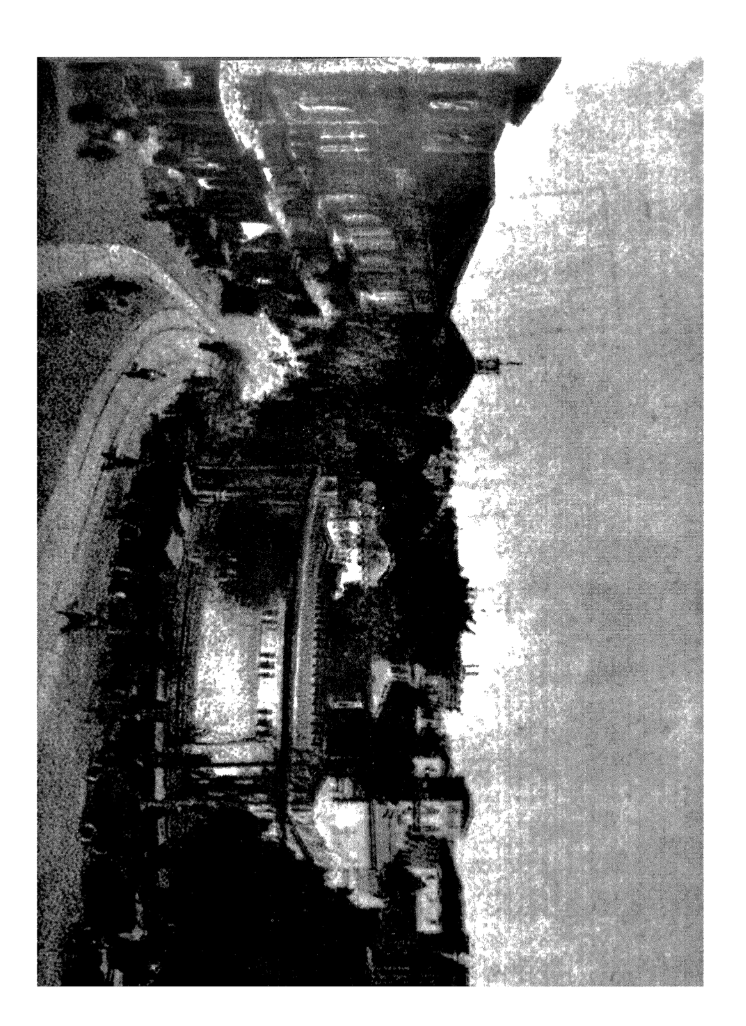


بيروت في البال

رياض جركس



RIAD EL - RAYYES
BOOKS
رياض الريس للكتب والنشر ش.م.م



الى عبد العزيز جركس

MEMORIES OF BEIRUT

BY

Riad Jarkas

First Published in 1996

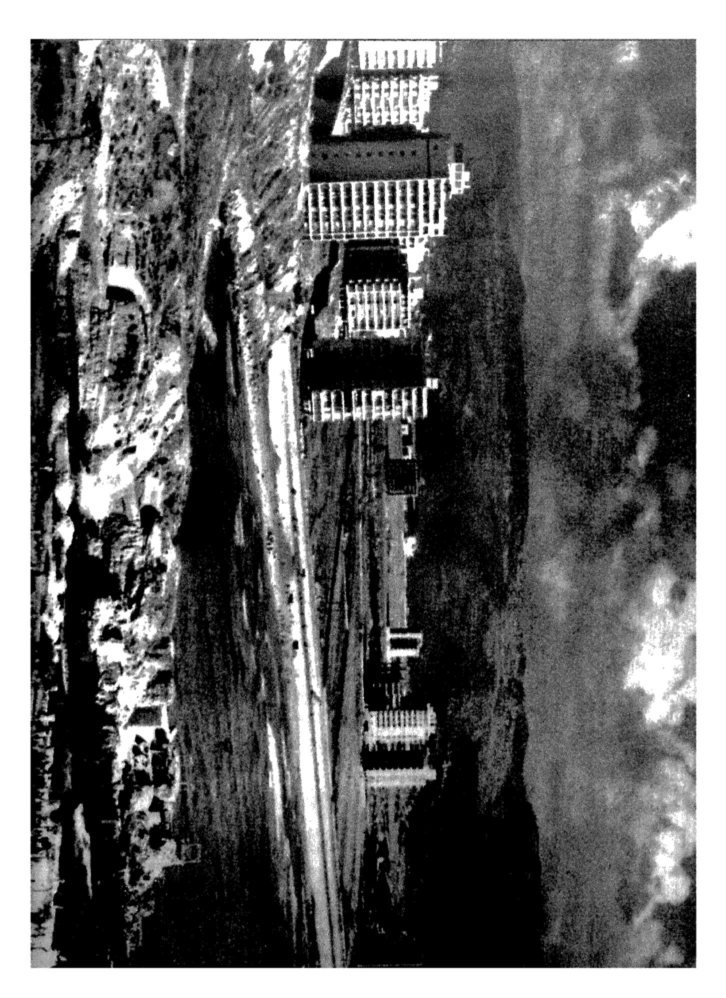
LONDON - BEIRUT

British Library Cataloguing in Publication Data available

ISBN 1 85513 254 0

الطبعة الأولى: تموز/ يوليو ١٩٩٦

الفهرس



المقدمة

حين انفجرت الحرب في لبنان العام ١٩٧٥ لم يكن أحد يظن أن هذه الحرب ستقضي على الأخضر واليابس وتطيح بساحات وأماكن ومعالم...

كان كل المخلصين يعتقدون أن هذه الحرب لن تكون سوى نسخة ثانية عن ثورة العام ١٩٥٨ التي استمرت قرابة ستة أشهر ثم انتهت...

كذلك كان كل محب يعتقد أن لبنان واحد لا لبنانان، ولا غالب ولا مغلوب وإلى ما هنالك من شعارات رفعها الرئيس صائب سلام وعمل على تطبيقها...

ولكن الحرب في لبنان طالت وامتدت وتشعبت خلال قرابة الستة عشر عاماً، حتى كاد اليأس يقترب من النفوس ويسكنها وسط حلول ومحاولات حلول يضعها المخلصون لبنانيون وعرب وأجانب...

لبنان الذي نعرفه كان غير كل ما حدث ويحدث...

كان يشتعل ليل نهار بكل الأضواء والإشعاع، وكان عبارة عن واحة سلام ومحبة، كان رسالة فرح وسهر وحنين...

وكان أن خسرت بيروت وجهها، أو على الأقل هذا ما ظهر، حيث عمّ الدمار المنطقة التجارية بكاملها، وكان أبرز وأهم المعالم التي غيّبها هذا الدمار دور اللهو والملاهي والمسارح ومرافق الذهاب والإياب، وهذا ما سنأتي عليه في هذا الكتاب...

رياض جركس

(١٩٩٦)



كنيسة الارمن الكاثوليك

بيروت
مدينة مسكونة بالتاريخ



بيروت ١

كانت مسكونة قبل الفينيقيين

في عينها يبدو الحزم والنشاط وعلى محياها ترتسم إمارات الكفاح والصراع

في عهد الأمير فخر الدين استعادت مجدها السابق كمدينة ذات مركز تجاري وعلمي

كانت جداتنا وبعض أمهاتنا يؤمنّ بالأحجية والطلاسم... بل كنّ يحذرن أطفالهن

في كتابها «بيروت.. ذكرى وتاريخ» الصادر العام ١٩٩٣ تتحدث المؤلفة مي علوش عن «بيروت الزمن القديم» فتقول:

«ما يدل على قدم بيروت قدم صيدا، وصيدا رابع مدينة بنيت بعد الطوفان».

هذا ما قاله المؤرخ صالح بن يحيى ابن بيروت البار عن قدم مدينة بيروت.

ولا شك في أن بيروت من أقدم المدن التي لعبت دوراً حضارياً مهماً في تاريخ العالم، ولكنها لم تبرز في دورها ذاك كما برزت في العهد الروماني.

وفي ألواح تل العمارنة عثر على اسم بيروت مكتوباً هكذا «بيروتا».

وأقدم الحكايات التي أرّخها المؤرخون وجرت بعض حوادثها في بيروت هي حكاية أمير جبيل «ربّ ادي» أو «ريب عدي» الذي كان قريباً لـ «عمونيرا» حاكم بيروت بالمصاهرة.

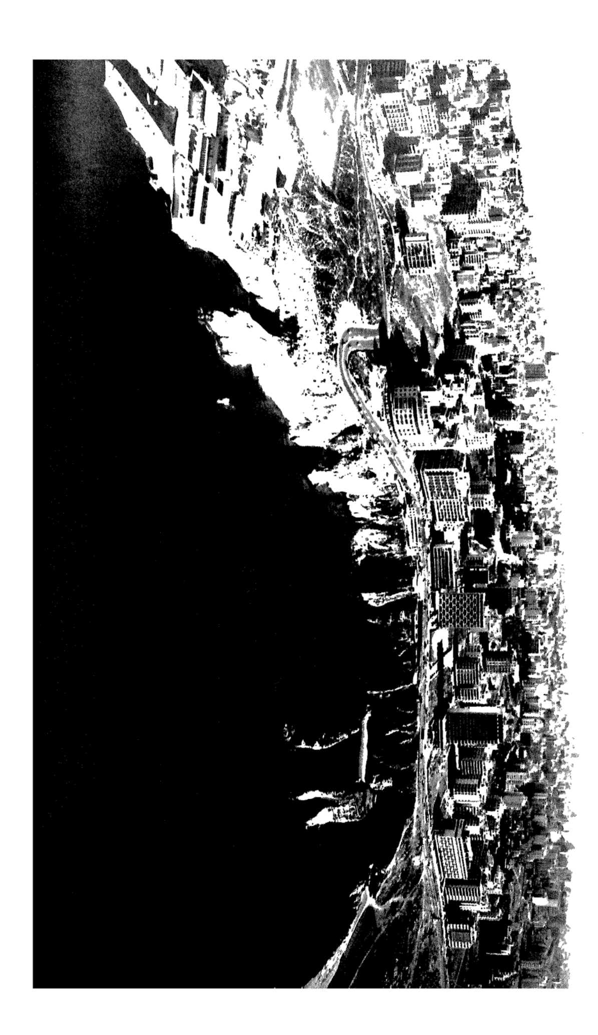
فعلى دور هذين الأميرين ظهر من الأموريين أن اسمه «عبد اشيرتا» راح يضرب مدن الساحل والداخل، وكان يساعد الأمير الأموري ابنه «غزيرو» وأمراء آخرون ورجالهم وكان مركز الأمير «عبد اشيرتا» في الشمال عند أعالي العاصي...

وهكذا صارت مدينة جبيل معرضة دائماً للسلب والنهب وللعبث من قبل عبد اشيرتا وابنه غزيرو... وصار «ريب عدي» ابن جبيل يبعث الرسائل مستنجداً بفرعون مصر، ورغم أنه بعث بنحو خمسين رسالة وعده المصريون بالمساعدة وبعثوا رجالاً تفرقوا قبل أن يصلوا الأراضي اللبنانية، وانتظر مساعدات أخرى أقوى وأعظم من تلك المساعدة فلم

ـساحة الشهداء او ساحة البرج (منظر من الجو)

سوق إياس (لوحة زيتية للفنان الألماني مارتن جيسن)





منطقة «الروشة» وكورنيشها و«صخرتها» التي حملت اسمها

بيروت ١
كانت مسكونة قبل الفينيقيين

الفينيقية كانت مملكة قائمة بذاتها، ولكنها كانت تشكل مع المدن الأخرى كلاً حضارياً.

وكـان التنافس الكبير على مكاسب البحر الواسعة بين بيروت والمدن الساحلية الأخرى يساعد على استمرار الروح الانقسـامية التـي قامت عليهـا الحضـارة الفينيقية وتولد دائماً عدم الرغبة في الاتحاد، ولم تكن كل من المدن لتتنزل في معارك مع الأخرى...

وفي كتاب «لبنان حضارة وجمال» لجوزف صدقي، الصادر في بيروت العام ١٩٥٩ يقول المؤلف تحت عنوان «بيروت جوهرة المتوسط».

بيـروت ... عـروس الشرق العربي ونافذته المطلة على الغرب، ومدينة العلم والإشعاع الفكري...

هذه العاصمة الفاتنة الراقدة بدلال في أحضان الشاطىء الأزرق، شاطىء المتوسط الأبيض!

في الليل تبدو كبساط مرصع بالجواهر واللآلىء، حتى ليخيّل إليك أن السماء بكواكبها ونجومها قد افترشت أرضها!

وفي النهار لو أتيحت لك رؤيتها من الجو، لافتتنت بحسـن موقعهـا، وجمال هندسة مبانيها، وامتداد قامتها من رمل شواطئها إلى صنوبر روابيها!

إنها حلم ابن الصحراء، وأمل فتاة القرية

في الأمسيات، ترقد تحت ضباب الأحلام...

وفي الصباح، تنهض بيقظة تتفجر معها الحياة!

في عينيها يبدو العزم والنشاط وعلى محياها ترتسم إمارات الكفاح والصراع!

وقد ذهب العلماء في تفسير اسم بيروت مذاهب شتى فاشتقه بعضهم من «بروتا» وهي كلمة آرامية معناها السرو او الصنوبر لوجود أشجارهما منذ القدم في

لوحة تاريخية لمرفأ بيروت القديم



بيروت في البال

جوار بيروت. وزعم آخرون أنها دعيت بهذا الاسم تخليداً لذكرى الآلهة الفينيقية «عشترت» معبودة بيروت التي كان السرو رمزاً لها. وعشترت هذه هي ربة الحب والجمال وقد عرفها العرب باسم الزهرة أو اللات وعرفها الرومان باسم فينوس.

ولعل أرجح آراء الأقدمين في تفسير اسم بيروت وأقربها إلى التصديق هو الرأي القائل أنه مشتق من البئر، وهو يجمع في العبرانية على «بئروت» أي الآبار التي حفرها الأقدمون في أحيائها وضواحيها. وقد ورد اسم بيروت لأول مرة في أثر هيروغليفي محفوظ اليوم في المتحف البريطاني في لندن.

ويتتابع الكلام:

ويبدو أن بيروت كانت طوال عصورها مدينة مسالمة منصرفة إلى التجارة والعلوم والفنون وما تستوجب هذه من تسامح ولين ورحابة صدر. فقد استبدت صور وصيدا أيام الفينيقيين بتاريخ فينيقية السياسي وكان هذا العصر سجلاً للنزاع الذي قام بين هاتين المدينتين الفينيقيتين على التحكم بشؤون فينيقية، مما حمل مدينة بيبلوس (جبيل اليوم) على الانصراف للدين. وفي كلمة (Bible) المشتقة من بيبلوس ما يؤكد ذلك كل التأكيد.

ويبدو كذلك أن بيروت لم تهمل أحياناً الأخذ بأسباب القوة فقد حاولت صيداء مراراً قهر بيروت واستعباد أهلها ولكن البيروتيين ردوهم خاسرين. وفي نقود بيروت ما يثبت قوتها البحرية فإنها تمثل إله البر بوسيدون (Poseidon) وهو بعل بريت واقفاً عند رأس السفينة، ومنها ما تمثله جالساً على مركبة تجرها أربعة رؤوس من الخيل.

ساحة البرج في الاربعينات



وقد دخلت بيروت مع شقيقاتها المدن الفينيقية الأخرى في الحكم المصري كما يشير إلى ذلك النصب الذي حفره رعمسيس الثاني في الصخور المشرفة على نهر الكلب

١ بيروت
كانت مسكونة قبل الفينيقيين

حيث ترى صورته بإزاء آلهة «راع» ساجداً له، فلما زالت دولة الفراعنة حلّ محلهم الآشوريون والكلدانيون كما تستدل على ذلك من الصور الخمس والكتابات المطموسة التي نقشها أولئك الغزاة على الصخور المشرفة على نهر الكلب.

وعقب الآشوريين والكلدانيين الفرس في أواسط القرن السادس قبل الميلاد. وقد أحسن الفرس معاملة الفينيقيين للاستعانة بسفنهم في فتوحاتهم. وكانت بيروت راقية في صناعة السفن وتجهيزها لقرب الغابات والأخشاب الجبلية من مرفئها.

وازدهرت بيروت في عهد الرومان والبيزنطيين، فزينوها بالبنايات الفخمة واشتهرت بصورة خاصة بمدرسة الحقوق التي كانت تلقب عهدئذٍ بأم الشرائع والتي اشترك بعض أساتذتها في وضع مجموعة شرائع جوستينيان، وهي المدرسة التي دمرها زلزال عام ٥٥٥ تدميراً تاماً.

وما كادت بيروت تستجمع قواها وتختم جراحها في ظل العرب فتتمتع بالرخاء والازدهار حتى دهمتها الحروب الصليبية التي فرضت عليها حصاراً طويلاً مؤلماً كان سبباً في تضاؤل عدد سكانها، وبالتالي في وقف نموها، وازدهارها.

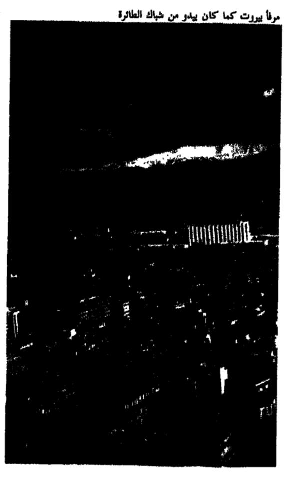
ولكنها سرعان ما استعادت مجدها السابق كمدينة ذات مركز تجاري وعلمي في عهد الأمير فخر الدين الكبير (١٥٩٠ ـ ١٦٣٥) وكان عدد سكانها قد بلغ عندئذٍ الخمسة آلاف نسمة!

وفي العام ١٨٣١، عرّجت جيوش إبراهيم باشا، على بيروت، وكانت تعرف في العالم العربي «بالقرية الكبرى» ذات المركز الثقافي والتجاري المرموق. في ذلك العهد، نعمت بيروت، بالأمن والاستقرار، وحصلت فيها الإنشاءات العمرانية مما زاد في انتعاشها تجارياً.

وعلى أثر اضطرابات عام ١٨٦٠ نزحت عائلات كثيرة عن قراها في الجبال إلى بيروت بحيث أصبح عدد سكانها في عام ١٨٨١، يزيد على ٧٥ ألف نسمة!

وكان تدفق الأجانب بعد حوادث ١٨٦٠، عاملاً أساسياً في ازدهار العاصمة تجارياً، وتأسس في ذلك العهد، البنك العثماني، والمحكمة التجارية، ومحكمة الاستئناف. وانشئ رصيف للبواخر ولذلك قامت شركة إفرنسية بإدارة الكونت «بارتوي» بفتح طريق بيروت ـ دمشق.

مرفأ بيروت كما كان يبدو من شباك الطائرة



بيروت في البال

وفي العام ١٨٧٥، قامت شركة إنكليزية بجر مياه الشرب من نهر الكلب إلى بيروت بواسطة أنابيب حديدية.

وبعد الحرب العالمية الأولى، وما أعقبها من سنين، تدفق السكان على بيروت من المناطق اللبنانية، ثم جاءت هجرة الأرمن، والأكراد، وأخيراً اللاجئين...

وفي كتاب «بيروتي خلال ثلثي قرن» لمؤلفه عبد الرحمن بكداش العدو يستعرض المؤلف حياة «أهالي بيروت» من خلال معايشة حقيقية لا يعوزها بعد النظر، ولا تغيب عنها شمس التجربة.

والكتاب صدر العام ١٩٨٩، ويتضمن مختلف الأمور الحياتية الميدانية الواقعية، من جهة بعض معالم بيروت القديمة وما كانت عليه بدءاً من أواخر العهد العثماني التركي، ثم كيف تطورت هذه المعالم خلال عهد الانتداب الفرنسي، وما وعته ذاكرة المؤلف من قصص وحكايات وطرائف عن أيام زمان، وأفصح عن قلمه بطريقته الفطرية الخاصة، وصور للقارىء صوراً صحيحة دون زيادة أو نقصان: كيف كانت بيروت القديمة في أواخر العهد العثماني، وكيف تبدلت وتطورت؟

كيف كانت تقاليد أهالي بيروت القديمة؟

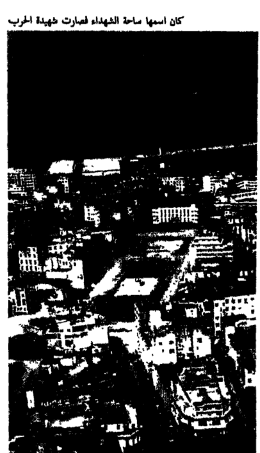
كيف كانت جداتنا وبعض أمهاتنا يؤمنّ بالأحجية والطلاسم، بل كيف كنّ يخدرن أطفالهن بأفيون الخشخاش، طلباً لتنويمهم من أجل قضاء السهرات، خارج البيت، عند الأهل أو الأقارب أو الجيران...

ويأخذ المؤلف القارىء إلى مختلف أجواء بيروت المتعددة، وذلك في أثناء الحوادث العصيبة التي عصفت بلبنان بدءاً من أيام طفولته، أواخر العهد العثماني، مروراً بالانتداب الفرنسي، ثم بمرحلة الاستقلال اللبناني، ثم مرحلة حوادث العام ١٩٥٨، ثم بداية الحرب في لبنان عام ١٩٧٥ مع تسجيل لأسباب هذه الحرب القذرة المدمرة ومسبباتها، وذلك باقتضاب كلي دون تسجيل وقائع تاريخية معينة...

ويقول المؤلف عن أسباب دفعه إلى تأليف هذا الكتاب والغرض من نشره:

«هذا الكتاب هو التصويب على شحذ أذهان وأفكار معاصري جيلي

كان اسمها ساحة الشهداء فصارت شهيدة الحرب



بيروت ١
كانت مسكونة قبل الفينيقيين

من قدماء المعمرين، وتسليط الأضواء على انماط حياتهم. علَّ مثل هذه الكتابة تبعث في نفوس أبنائنا وأحفادنا من الجيل الحالي الحوافز المنبهة لخواطرهم ويتابعون طرق الحياة الفضلى لحاضرهم ومستقبلهم...».

ويختتم الكلام بما يقوله الدكتور رضا عنتر في خاطرة عن بيروت:

هل ثمة إفراط في التجني على من خدع بيروت من شعراء ملهمين ومفكرين ثائرين؟

وهل ندعي امتلاك (صوغ جديد) أو الاتيان بإملاءات جديدة واجتراح العجائب؟

لا يزايدن أحد على بيروت، فهي ما بين إقبال وإدبار في آن معاً. ما إن تطل من شقوق أسطورة (طائر الفينيق) حتى تحيي (قوم سبأ)، وما إن يستهويها صلب (اسبارطة) حتى تنداح في براغماتية (أثينا).

ويبقى ذياك الشاطىء التياه، ساعية اتصال بين عالمين متباعدين: شرق وغرب أضلاّ طريقهما المؤدين إلى بيروت المتلمسة درباً جديدة إلى ولادة جديدة...

بيروت مدينة عريقة هدمت وعمرت أكثر من مرة!




Lebanon - Beirut - The French Avenue
لبنان - بيروت

فندق السان جورج وأمامه جادة الإفرنسيين (بطاقة بريدية)



كان يحيطها سور قديم يحمي أبناءها من الاعتداءات

... وكان فيها جوامع وكنائس دون تعصب فالدين لله وبيروت للجميع

من يعمل على استحضار ماضيها لا بد أن تأسره الذكرى وتحرقه الحسرة

يذكر عن بيروت أنها كانت تجمع كل دول العالم في فندق فجعلوا كل مصالح العالم تلتقي فيها، في خندق... كانت تجمع أقدم معاهد العالم العلمية فاستبدلوها بأحدث المعاهد الحربية، كانت متحفاً لحضارة الشرق وغربه، فجعلوا من مبانيها «تحفة»...

كان فيها أبراج تحمي السكان، وترد عنهم كل عدوان فهدموها ليبنوا مكانها أبراجاً، يصبّون منها كل يوم، الحديد والنار على بقايا الوطن...

وكان فيها بوابات تقفل ليلاً لمنع الأيدي الغريبة من التغلغل وانتهاك الحرمات، فسدوا هذه البوابات التي تسمى اليوم بوابات عبور، ليشرعوا الأبواب الخارجية التي طلت منها تسميات جديدة ومشاريع تقسيم...

وكان يحيطها سور، فتحطم بدوره ليشرع مستقبلها أمام كافة الاحتمالات...

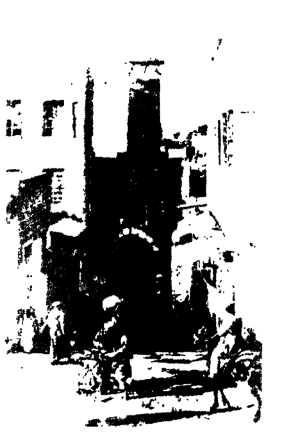
إنها بيروت، التي نتذكرها.. تلك المدينة التي حمت أهلها وكستهم وظللتهم...

إن سكان بيروت قبل مائة عام وما يزيد كانوا أتقياء، وأتقياء جداً، يخافون الله ويطبقون تعاليمه فيتعايشون وسط البساتين دون حسد أو غيرة أو طمع، يساعدون بعضهم بعضاً، ويتقاسمون الأفراح والأتراح...

كان يحيط ببيروت سور قديم يحمي أبناءها من الاعتداءات، وكانت تغلق أبوابه ساعة يشعر سكانها بالخطر، ويهرعون إلى الأبراج لحماية أنفسهم ولصد العدوان...

كان فيها جوامع وكنائس، دون تحجر أوتعصب، فالدين لله وبيروت للجميع...

بيروت قبل أن تعرف التطور العمراني



بيروت في البال

عائلاتها كانت قليلة ومعروفة، والليرة كانت تشتري قصراً في تلك الأيام... وهذه أبرز أحياء بيروت، ومعنى الأسماء التي تتردد اليوم دون إدراك لمعانيها:

□ **رأس بيروت:** كانت منطقة مؤلفة من كثبان الرمل وضاحيتها مكسوة بالأشجار، آهلة بالسكان وعامرة بالحركة، تقصدها العائلات للاصطياف ويقطنها بعض الدروز، ويقدر أن سلالة مشايخ آل تلحوق هبطوا إليها عام ١١٤٤ ميلادية واعتنوا بحقولها العامرة بدوالي العنب والأشجار المثمرة...

□ **حرج بيروت:** المقصود به غابة الصنوبر جنوبي بيروت، ولقد ذكر بعض المؤرخين أن الأمير فخر الدين جددها ووسعها بعدما كادت تباد، لما كان يقطع منها لبناء السفن والمساكن وتجهيز الأساطيل وصنع المنجانيق وغير ذلك من الأدوات الحربية، إذ كان من عادة الأقدمين إذا حاصروا مدينة أن يقطعوا الأشجار من جوارها لبناء آلات الحصار.. وقد جدد الغابة إبراهيم باشا المصري، كما قيل أيضاً إنها حرجت لمنع توسع الرمال التي كانت تهاجم المدينة من غربها الجنوبي، كما زعم أنها زرعت لتنقية الهواء واستجلاب الأمطار...

أمام ميدان سباق الخيل...



□ **الكرنتينا:** هو المحجر الصحي الذي بناه سنة ١٨٣٤ قنصل فرنسا في بيروت بإيعاز من إبراهيم باشا المصري، وبالاشتراك مع قناصلة النمسا والدنمارك وأسبانيا واليونان، وقد وقى هذا المحجر مدينة بيروت من الطاعون وسواه من الأوبئة التي كانت تنتشر وتزداد عاماً بعد عام...

□ **المصيطبة:** وكانت تسمى المصطبة، وقد ذكر صالح بن يحيى في كتابه بأن المراكب كانت تصنع فيها على بعد قليل من البحر، وكان للمحلة شأن بعد ذلك حيث كان السلاطين والأمراء إذا ما قدموا إلى بيروت يوم كانت ضيقة المساحة وبسيطة العمران، ينزلون مع أتباعهم وجنودهم في محلة المصيطبة ويخيمون فيها. وقد اختاروها على سواها لارتفاعها واعتدال هوائها... وقد تكرر نزولهم فيها حتى عرفت بمنزل السلاطين...

□ **الأشرفية:** سميت كذلك نسبة إلى الملك الأشرف خليل ابن الملك منصور قلاوون عام ٦٩٣ هجرية أي ١٢٩١ ميلادية، وهو

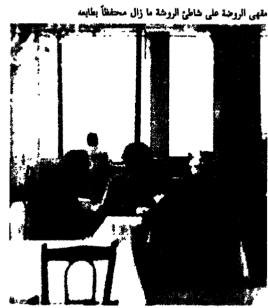
بيروت ٢
مدخل الى احيائها

الذي حارب الصليبيين وتمّ على يده فتح صور وصيدا وبيروت، وقد اعتبرها من مدن الساحل الهامة خلال الفتوحات الصليبية...

□ **الجناح:** منطقة معروفة على ساحل بيروت وقد سميت كذلك لأنها تشبه جناح الطائر وهو يرفرف...

□ **رأس النبع:** كان النبع يتدفق منه كما دلت تسميته من جوف الأرض إلى محلة الكراوية، أي شارع بشارة الخوري اليوم... ثم ينساب إلى المدينة لينتهي في ساحة الدركة، وهناك يجري في أنبوب ينتهي إلى حوض منحوت في الصخر، يشرب منه الأهالي. ولقد انقطعت مياه هذا النبع عن الحوض عام ١٩٢٠ وانحصرت في محلة الكراوية، حيث كانت تستعملها بلدية بيروت لغسل الطرقات وري الحدائق...

مقهى الروضة على شاطئ الروشة ما زال محتفظاً بطابعه



□ **محلة الزيدانية:** كانت كناية عن مقالع تقطع فيها الحجارة الكبيرة فتحمل على ظهور الجمال إلى حيث كان الأهلون يبنون بيوتهم. واستعمل هذه المقالع الفينيقيون والرومان من قديم الزمان وقد فضلوا حجرها الرملي على سواه نظراً لسهولة قطعه وثباته ومقاومته لحرارة الشمس والرطوبة.

□ **عين المريسة:** وأصل الاسم عين المرسي، عندما كانت ميناء صغيراً ترسو فيه الزوارق والمراكب الصغيرة. وسميت بهذا الاسم لوجود عين ماء على الشاطىء معروفة حتى اليوم ويستقي منها أبناء المحلة في موسم الشحائح...

أحد أحياء الأشرفية



□ **القنطاري:** كانت مزرعة صغيرة فيها أغراس الفاكهة والتوت إلى أن غزاها المد الإسمنتي وأصبحت مركزاً معروفاً...

□ **بئر حسن:** هو سهل كان يقع فيه ميدان يسمى المرمح، تقصده أفواج محبي الخيل ليتباروا بالرماح والجريد على الطريقة العربية القديمة...

□ **جزيرة ابن معن:** أو محلة «الزيري» ورثتها أخت الأمير حيدر بعد وفاة زوجها الأمير عبد الله اللمعي عام

١٧١٧ ميلادية، كما ورثت معها بستان «أبو كعكة»، بعضها في البر وبعضها الآخر في البحر وقد حرفها الصيادون فاشتهرت باسمها المحرف...

□ **بستان «أبو كعكة»:** عند نبع نهر بيروت، ونبع نهر بيروت يقع في الوادي المحاذي لدير القلعة تحت بيت مري، والبساتين التي تحيط بالنبع والنهر ما زالت تعرف بمحلة «الزيري» حتى اليوم، مع العلم أن تغييرات كثيرة أحدثتها الطبيعة في تلك المنطقة...

□ **حي زقاق البلاط:** ولقد امتاز الحي بادىء الأمر بالطابع الأرستقراطي حين بنيت فيه بعض القصور لبعض الأسر الوجيهة، زنرتها بيوت متواضعة للمستخدمين في القصور. وقامت فيه المدرسة الوطنية لمؤسسها المعلم بطرس البستاني عام ١٨٦٣، ومدرسة المرسلين الأميركيين، ومدرسة راهبات الناصرة وبالقرب منها مدرسة مار يوسف، والمدرسة البطريركية إلى الجانب الشرقي منه، لكن معظم هذه المدارس نقلت إلى مناطق أخرى...

البرلمان حافظ على موقعه ومكانته في بيروت



ويذكر عن بيروت أيضاً أن سكانها كانوا أتقياء، ولم يكن الدين بالنسبة إليهم مسلكاً يوصل إلى المآرب السياسية كما حدث بعدئذٍ، فالنعرات الطائفية كانت إلى حد ما شبه معدومة، وسوسة الفتنة كانت دائماً تأتي من الخارج...

الأديرة والجوامع والزوايا كانت منتشرة بوفرة في مختلف أرجاء العاصمة، ولا عجب حين كان صوت النواقيس يمتزج بأصوات المآذن، أو يقع النظر على دير وجامع متلاصقين إلى درجة لا يفصل بينهما أكثر من جدار، فالوحدة التي كانت بين أبناء بيروت على الرغم من تعددية الأديان ساهمت في دحض الغزوات، وجعلت المدينة تعمر بشكل مثير يستدل خلاله أنها أتت خلاصة لحضارات تعايشت، وأديان انصهرت، و«ملل» تجمعت لإعلاء شأن بيروت...

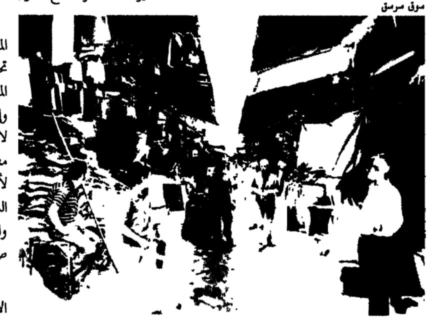
وكان اللبنانيون ينجرون دائماً إلى المؤامرات، مع العلم أن مفاتيح الحل والربط لم تكن مع أحد منهم، ورغم ذلك لم يصل التعصب الديني إلى مستوى اللاتعايش بينهم، بل سرعان ما كانوا يتناسون خلافاتهم ويعودون إلى العيش المشترك من جديد وكأن حرباً لم تكن، وأكثر ما كان يوحدهم هو شعورهم بالخطر المشترك، الذي

يدفعهم إلى تناسي الخلافات وتجاهل الأنانيات بغية الدفاع عن مدينتهم من وراء سور واحد...

هذا وقد وصف بيروت غير واحد من المؤرخين بكثرة المتعبدين فيها والزهاد، وهذا ما يدل على ما ذكره ابن جبير في كلامه عن أهل العلم والمتدينين في هذه الديار، وما أورده ابن بطوطة وغيره من كبار الباحثين والمؤرخين...

والواقع الذي يؤكده المراقبون للحياة الدينية أنه ليس أكثر من أهل بيروت تشييداً للمعابد، وليس أكثر منهم ارتياداً لها، لكن الحكومة العثمانية كان لا يعجبها قرع النواقيس فمنعت استعمالها مدة طويلة من الزمن، لذا كان من النادر أن يشاهد في تلك الآونة قباب للنواقيس حيث استعيض عنها بلوحات خشبية أو حديدية يعلقونها في الرواق الخارجي ويقرعونها بمدقات إيذاناً ببدء القداس...

ومن الكنائس والجوامع التي كانت قائمة في تلك الآونة كاتدرائية مار إلياس للروم الكاثوليك، الكنيسة الإنجيلية للبروتستانت، كاتدرائية القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس، هضبة مار متر، مزار الأوزاعي، جامع الخضر، مزار الخضر، جامع الأمبراطور منذر، الجامع العمري، جامع الأمير عساف أو جامع السرايا، جامع شمس الدين، الجامع المعلق...


سوق سرسق

وأما الزاوية، وهي غير المسجد وغير المزار فقد كانت كناية عن بناء متواضع تحت قبة مسجد، تجتمع فيه طوائف المريدين، وهم أتباع شيخ الزاوية، للصلاة وإقامة الأذكار، والذكر هو إعادة دائمة لاسم الله تعالى بأوضاع وأشكال منوعة، كما أن الزاوية هي ملجأ لأصحاب العاهات ومأوى لأبناء السبيل، وقد يجدون فيها من الطعام واللباس مما يساق إلى الزاوية من صدقات المحسنين ما يكفيهم...

أما أبرز الزوايا فكانت زاوية الأوزاعي، زاوية المغاربة، زاوية

بيروت في البال

الشهداء، زاوية أبي النصر، زاوية الحمراء، زاوية المجذوب، زاوية القصار، زاوية الراعي، زاوية الدركة...

بيروت الأمس أين منها بيروت اليوم!

إن من يعمل على استحضار ماضيها لا بد وأن تأسره الذكرى وتحرقه الحسرة، فلقد كانت تجمع كل شيء في عاصمة، كانت تختصر حضارة الدنيا في بقعة، وكان لها أبناء يتسابقون في الذود عنها، والدفاع عن مجدها، ومن كان يعرفها لا يصدق صورتها الحاضرة فهي لم تكن مجموعة قبائل متقوقعة أو «مللاً» متنافرة، فالمسيحي في بيروت لم يكن عدو المسلم، والزعيم الحقيقي هو من يعمل لإعلاء شأنها لا لرجمها بالحديد والنار...

الأنانية السياسية، وبناء النفوذ والزعامات على حساب جثث الشعب هي عادات لم تعرفها بيروت، وهي إن انتقلت إلى الناس بعدئذٍ فهذا لا يعني أنها كانت متأصلة في النفوس والعقول...

بيروت القديمة لم يكن فيها باب عبور للوزراء والنواب والديبلوماسيين وآخر للعسكريين، وثالث للصحافيين، ورابع للمشاة العابرين تحت رحمة الله وملائكته، وخامس للقناصة، وسادس للمغامرين الذين إذا نجوا من القنص فلن يفلتوا من يد الخاطفين المتربعين لقطع أوصال الوطن، وسابع وثامن و... مقفل بالسواتر والدشم بسبب التدابير الأمنية الاحترازية التي تهدف بمعظمها إلى الزيادة من تشويه ماضي بيروت وجعل مستقبل توحيدها بيد الله وحده عزَّ وجل...

بيروت لم تكن بيروتين، ولفظة شرقية وغربية كانت محذوفة من القاموس، أبوابها كانت لحماية سكانها من الغرباء الذين تسللوا بعدئذٍ ليقفلوا الأبواب بين أبناء الوطن الواحد والمدينة الواحدة، ولكن إلى حين...

من «ألبوم» بيروت القديمة...





بيروت

مدخل الى احيائها

في السابق كان كل واحد من أعيان المحلة مولجاً بأمر باب من أبوابها، ومكلفاً بنفقة مصباح معلق إلى جانب الباب الخارجي ينيره كل عشية، حيث كان يقفل الباب عند مغيب الشمس ويودع المفتاح عند متسلم البلد أو الحي حتى الصباح، وكان حفّاظ الأبواب يحرزون شرفاً بهذه المهمة... أما القوافل التي كانت تأتي إلى بيروت ليلاً فكان من الطبيعي أن تنتظر خارج المدينة حتى يفتح الباب في الصباح، علماً أن الإقامة كانت في ظاهر بيروت خطراً، وقد سمح لفترة معينة بإبقاء بوابة الدركة مفتوحة للأجانب والمتأخرين...

ومن أبرز الأبواب التي كانت قائمة في ذاك الوقت باب السرايا، باب السلسلة، باب إدريس، باب الدركة، باب الدباغة، باب أبي نصر، باب السنطية، باب يعقوب...

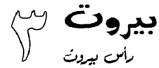
مقهى «الحاج داوود» الى القصى اليسار (بطاقة بريدية)





صخرة الروشة صامدة في وجه الموج

بيروت



رأس بيروت

يوم لم يكن فيها أي أثر للعمران كانت تباع الأرض في رأس بيروت بالشملة

بقيت معابر رأس بيروت موحشة مخيفة إلى أن جاء «الأميركان»

كان شارع الحمراء يعرف باسم شارع لندن وشارع جان دارك كان اسمه شارع «الشهبانيا»

كانت ميداناً «للذئاب» و«الواوية» وصارت من أرقى أحياء بيروت

في كتابه «رزق الله عهيدك الأيام... يا راس بيروت» يتحدث كمال جرجي ربيز مختار رأس بيروت (١٩٣٣) من ضمن ما يتحدث عن بيروت ما قبل الجامعة الأميركية وبعدها فيقول:

غلاف كتاب كمال جرجي ربيز



قبل أن تشق الطرقات المحاطة بحفافي الكروم ورباعات الصبار في رأس بيروت بما فيها الطريق التي كانت توصل إلى المدينة، كانت الدروب جميعها كناية عن معابر زلّاقة متعرجة، ضيقة موحشة. كانت تسمى بالخنادق والزواريب كخندق ديبو وزاروب الحرامية وكلاهما كانا حيث الحمراء اليوم. وكانت هذه المعابر والممرات محفوفة بأخطار الأفاعي ومسكونة بالجن بحسب بعضهم. والبيوت كانت تنوّر بالشموع وبمصابيح تضاء بواسطة زيت الزيتون. ثم أخذت مصابيح الغاز تضيء المعابر والطرقات بعد أن بدأت تتسع لتسمح للطنابر والحناطير بالعبور إثر بدء استعمال الدولاب سنة ١٨٣١. وقبل تلك السنة كان أهالي رأس بيروت يحملون غلال زرعهم بسلال توضع على أكتافهم في طريقهم إلى المدينة والميسورون منهم كانوا ينقلونها بواسطة الدواب. وبعد أن شاع استعمال الطنابر والعربات التي تجرها البغال خففت هذه بدوران دواليبها من عناء الطريق.

من ثم بدأوا يستقلون الترام أو عربات ديليجانس التي جرتها البغال أيضاً وكانت تتسع كل عربة منها لسبعة أشخاص. وكان لها في طريقها محطات محددة، كما كانت الحال مع الترام الكهربائي فيما

بعد. وكانت مزارب هذه العربات واسطبلات بغالها كائنة عند آل حصرم، قرب مخفر حبيش اليوم.

والرأس بيروتيون كانوا يعيشون من غلال بساتينهم، فخورين بما يستنتجونه منها. ويذكر أحد معمري آل يموت بأنه قطف من بستانه ثمرة فجل عربي بلغ طولها المتر تقريباً، كما أنه كان يقطف ثمرة اللفت بحجم المرطبان.

وقد اعتنوا بتربية دود القزّ. وكان غنى العائلة يقاس بمقدار انتاجها من الحرير. لذلك اهتموا كثيراً بشجرة التوت لأنها كانت طعاماً لدود القز وعلفاً للماشية المعلوفة التي وجدت بكثرة في هذه المحلة. وشجرة التوت تعمر كثيراً وتعطي موسمين في السنة الواحدة. وهي لا تحتاج إلى الماء الكثير. وكانت المحلة تشكو من قلة الماء قبل أن تصلها مياه الشرب موزعة على البيوت بواسطة القساطل سنة ١٩٠٢. وكان الناس يحفرون الآبار لتخزين مياه المطر لريّ المزروعات ولسقي الدواب والماشية. أما هم فكانوا يشربون من الينابيع، وكان منها ما يكفي حاجتهم. وأشهر هذه الينابيع كان حيث كنيسة الآباء الكبوشيين في الحمراء وقرب جامع الزاوية وبقربها بركة ماء، وواحدة في ساحة الوردية.

وكثيراً ما قصد أهل رأس بيروت عين المريسة كي يتزودوا من مياهها، ويحدثوننا عن عيون مياه كثيرة على امتداد الشاطىء أهمها تلك التي كانت حيث فاخورة آل الفاخوري، بمحاذاة الحمام العكسري. وكانوا أحياناً يشترون المياه منقولة إليهم في «قرب» من جلود الماعز.



أحد الأسواق الشعبية

في العام ١٨٧٠ حصلت شركة تونان الفرنسية على امتياز جر وتوزيع المياه الصالحة للشرب. إلاّ أنها باعته من شركة إنكليزية تدعى «بيروت ووتر وركس

بيروت ٣

رأس بيروت

كومباني»، التي أنجزت الأشغال في العام ١٨٧١ وأخذت توزع ابتداء من أول العام ١٨٧٣ كمية الفي متر مكعب من المياه في اليوم، إلى أن تحول الامتياز عام ١٩٠٩ إلى السيدين إلياس وإبراهيم صباغ أصحاب الشركة العثمانية لمياه الشرب.

هكذا كانت رأس بيروت يوم كانت تعرف بالرأس، يوم كانت تباع الأرض فيها بالشملة، يوم لم يكن فيها أي أثر لعمران. يومها كانت أرض المنارة خالية من أي بناء إلاّ من أنقاض برج يُرجّح أنه بني في زمن الحروب الصليبية. وكانت النار تشعل في أعلاه لإعلام دمشق بأن خطراً دهم ثغرها. وموقع البرج على كتف نادي النهضة الرياضي.



حمّال برسم الأجرة

ولما عرف سكان المدينة أن المبشرين الأميركان سيبنون كلية في الرأس قالوا عنهم أنهم يريدون أن يسكنوا بين الواوية في زمن كان يطلق فيه على أبناء الضواحي اسم أولاد البرية.

وفي سنة ١٨٧٣ كان الأميركيون قد أنجزوا بناء بناية الساعة وبدأت أبواب الكلية الأميركية تستقبل الطلاب في هذه المحلة.

وقبل الحرب العالمية الأولى كانت أحياء رأس بيروت تحمل أسماء تركية فمحيط شارع بلس وجان دارك والمكحول كان يُعرف بزقاق طنطاس. وبعد أن دخلت جيوش الحلفاء شمي شارع الحمراء بشارع لندن، كما كان يدعى شارع جان دارك بشارع شمبانيا. فيما بعد عملت بلدية بيروت على تسمية بعض شوارع رأس بيروت بأسماء عائلاتها: عيتاني، ريز، منيمنة، بخعازي، صيداني، معماري، شاتيلا، المقدسي، يموت، صوراتي، مزبودي، شهاب ودياب. ولم تعرف جميع هذه الشوارع بما فيها الحمراء الإسفلت قبل عام ١٩٣٣. وكثيراً ما اهتم أهل رأس بيروت بأشجار المقسيس لأنهم كانوا يستخرجون الصمغ من ثمارها ليصنعوا منه الدبق لالتقاط العصافير. وتعتبر هذه تجارة رابحة، وكان أحدهم يجني ليرتين ذهبيتين يومياً ثمناً لما يلتقطه من الطيور كل يوم. وكانوا يطلقون ألقاباً على بعض هذه



العمران أكل أشجار الصبير التي كانت في رأس بيروت

بيروت في البال

الأشجار الكريمة كالزابورة وعزرائيل اتقاء من شر عين حاسدة وكي لا تكون مسكناً أو ملجأً للأرواح الشريرة. ومنهم من عمل في صناعة الفخار. عائلة الفاخوري كانت لهم فاخورة قرب الحمام العسكري، والحمندي كانت لهم فاخورة في الظهرة أي الروشة. وكانت بعض عائلات رأس بيروت تعمل باصطياد الأسماك، وكان لكل عائلة منها مصيدها على امتداد الشاطىء. كما أنهم يطلقون أسماء محلية على كل بقعة بدءاً بالرملة البيضا امتداداً إلى ميناء شوران وصولاً حتى ميناء الحصن.

وكتب جبرائيل جبور: كانت منطقة رأس بيروت قبل الجامعة الأميركية بقعة خالية من العمران شأنها شأن سائر المناطق. فمن باب إدريس حتى المنارة كانت قبل تأسيس الكلية السورية بزمن غير مأهولة، وكان السكن فيها خطراً أو مغامرة. وما إن شرعت الكلية بتشييد أبنيتها حتى أخذت تنشأ في رأس بيروت، في شارع بلس وغيره، منازل جديدة اندثر أكثرها فيما بعد، وأقيمت مكانها أبنية بعضها لموظفين لبنانيين في الجامعة منهم الأساتذة بولس الخولي، جرجس الخوري المقدسي، أنيس الخوري المقدسي، منصور جرداق، أسد رستم، نجيب نصار، مصطفى الخالدي، إلياس كوراني، أمين كوراني، نقولا شاهين وجبرائيل جبور. وقد بنى الأميركيون بيوتاً لهم أيضاً حول الجامعة. بيت بلس كان في شارع عبد العزيز حيث محلات فونتانا، وبيت دورمن عند ملتقى الشارع بشارع بلس. وكان بيت سميث في شارع ريز قبل فندق الكفالييه. أما البروفسور سيلي فكان اول من عمّر بناء عصرياً في شارع الحمراء حيث مطعم الهورس شو اليوم، وذلك سنة ١٩٢٣.

أحد أفراد عائلة «أبو طالب» ارتبط اسمه بالحي وكان متميزاً بشاربيه الطويلين



وتحدث دانيال بلس في مذكراته عن شرائه لأراضي الكلية فقال: مررنا بأرض كثيرة في أنحاء مختلفة من بيروت حتى وصلنا إلى حيث الكلية الإنجيلية اليوم. وقد أحببنا تلك البقعة من الأرض منذ وقعت

بيروت ٣

رأس بيروت

عليها أنظارنا وقررنا لتونا أننا اهتدينا إلى أجمل بقعة في لبنان، وأخيراً أصبح لدينا كلية حقيقية هي بمثابة بيت خاص بنا.

وإذا كان الحديث عن مرحلة بناء الجامعة الأميركية وما تلاها من ذكريات لها محطات بداية ونهاية فإن الخط الرئيسي للحمراء له نهاية أيضاً، وهو يعرف باسم «أبو طالب»، دكان سمانة وبيع الخضار والفاكهة...

ولقد سُمي المحل باسم صاحبه «الجد» الذي كان يعرف باسم «أبو طالب» نسبة إلى اسم نجله الكبير، في حين أن اسم العائلة الخاص بهم أنهم من آل سنو...

وقد توارث المحل الآباء والأبناء الذين أخذوا الحكايات عنهم وأبرزها أن سكانه تقدموا بشكوى إلى الوالي ضد الشمس (...) فضلاً عن أنه كان ميداناً للذئاب والواوية!!

كمال جرجي ربيز في مكتبه



الحمراء في منتصف الليل





بيروت
البشر قبل الحجر



Beyrouth

بيروت ٤

محمد شامل وُلد وفي فمه ملعقة من خشب

الذاكرة الحية لتاريخ المسرح في لبنان

يوم مات مرعي استولى عليه ضرب من اليأس أبعده عن الفن وأهله

عمل مدير مدرسة وقدم أطروحة عن أدب «الخوارج»

«الدنيا هيك» مع مرعي و«يا مدير» مع شوشو

يمثل الفنان محمد شامل الذاكرة الحية لنشوء المسرح في لبنان منذ أرسى قواعده في العشرينات ووفق إمكانيات ذاك الزمان وبالتعاون مع رفيق عمره عبد الرحمن مرعي (وجهه الفني الآخر) مروراً بالتلفزيون اختراع العصر المستجد، الذي استطاع مجاراته وإتقان لغته، وإغنائه بنبض روحه وفكره الشعبي المنغمس حد العمق في الوجدان العام، فضلاً عن اكتشافه لشوشو الذي أطلقه «المدير» كعضو في أسرته الفنية ومن ثم ارتضاه كصهر في حياته العائلية، واكتمالاً بجهد فني مستمر قدمه «المختار» في أعماله التلفزيونية المختلفة المضمون والمنسجمة على الدوام مع «الدنيا هيك»...



محمد شامل في شبابه...

هو سفر خصب من العطاء وكتابة النصوص المتلاحقة، فلقد بدأ العمل في المسرح يوم كان الاتجاه إلى هذا المرفق مغامرة لا يحسد من يقدم عليها، كما مثل في السينما في الوقت الذي كان فيه هذا القطاع يبدأ محاولاته الأولى، وعندما أطلّ التلفزيون استطاع «المدير» أو «المختار» ـ نسبة إلى تسمياته في بعض الأعمال التي قدمها ـ أن يجاريه ويقدم البرامج واحداً تلو الآخر، بالإضافة إلى عمله الإذاعي بالطبع...

وحين يذكر اسم محمد شامل فلا بد أن تمر الصور المختلفة في الأذهان منذ محاولاته الأولى، مروراً بتكوينه ثنائياً فكاهياً مع عبد الرحمن مرعي، وانتهاء بتبنيه حسن علاء الدين الذي أعطاه اسم «شوشو» وأطلقه في أعماله حتى يبدو شامل بعدئذ وقد نقل حب الفن بشكل أو بآخر إلى ولديه يوسف وناجي اللذين يخوضان العمل بدورهما على صعيد الكتابة والتمثيل وما يمكن أن يستجد...

ومحمد شامل سبق له وأن سجل قصة حياته في بدء الثمانينيات في

بيروت في البال

مجلة «ألحان» التي كان لي شرف تأسيسها وتولي رئاسة تحريرها... وفي هذه الحلقة أكتفي بنقل الفقرات الأساسية من «المشوار» الذي كتبه «المدير» على حلقات...

يقول محمد شامل:

ـ يولد الأولاد السعداء وفي أفواههم ملاعق من ذهب، أما الأشقياء وأنا واحد منهم فيولدون وفي أفواههم ملاعق من خشب. ولدتني أمي العام ١٩١٠ في محلة كانت تدعى «بوابة يعقوب»... ثم ماتت وأنا ابن ستة أشهر، فكانت المعادلة في أن امرأة استراحت وطفلاً شقي...

وكانت «بوابة يعقوب» تقع في أول درج الأميركان، عن شمالها القشلة أو السرايا التي ما زالت تقوم في مكانها كأثر ناطق للأجيال، وكان «حيّ التكنات» يحدها من الشرق ومن جنوبها «السور» ومن غربها محلة «زقاق البلاط» وساعة «الأميركان» المقامة في ساحة المدرسة الإنجيلية، هذا ما أذكره، ولا أدري إن أنا أصبت في تسمية المواقع أو أنني أخطأت فوضعت الأذن مكان العين...

كان أبي رحمه الله قد اشترى لنا بيتاً في محلة «البسطة الفوقا»، وفي ذاك البيت كانت خاتمة المطاف، وراح أبي يبحث عن عمل للرزق فشارك صهراً له في شراء «بوسطة» تجرها الخيول، تنقل الناس من بيروت إلى صيدا ذهاباً وإياباً، وبقينا على هذه الحال مدة أربع سنوات، حتى بقيت أعيش في حالة من الضياع، أتنقل من دكان بقال إلى دكان عطار، وكان داء الربو قد تحكّم بي، حتى أنهك صحتي، وعشت قدري وأنا في عذاب مرير حتى أذن الله فصرف عني ذلك الداء فاستعدت قدرتي على العمل، وأدخلني أبي إلى المدرسة السورية التي كان يديرها

مقهى فاروق تيمناً بمسرح فاروق كان ملتقى الأصدقاء



بيروت ٤
الدنيا هيك بين شامل ومرعي

آنذاك صاحبها الشيخ نعمان حنبل رحمه الله في محلة «الخندق الغميق»، وما إن مضى عليّ فيها بعض الوقت حتى نقلت إلى مدرسة «المقاصد» في الحرج وخرجت منها وأنا بالكاد أستطيع القراءة...

ويتابع محمد شامل:

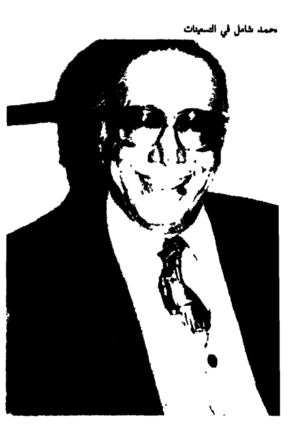
ـ ١٩٢٧، كان عاماً خصباً، خلاله تعرفت إلى عصبة بررة من الأخوان الطيبين الذين جمعني وإياهم حب الفن، وكانت بيوتنا هي المنتديات، للتداول في أمر المسرحيات المنوي عملها، والقيام بالبروفات لمسرحية بدأنا العمل بها...

وأمتع ما كان يحوينا في أكثر الأوقات بيت كبير لآل العشي، أخوال ناجي وبدر تميم، وكان هذا البيت كأنما هو مسرح وصالة و«ألواج»، وكان موقعه في أول «زاروب الطمليس»... وكنا ندخل إليه من باب يبدأ بعدة درجات ثم تطل علينا تلك القاعة التي بنيت حسب طراز قديم كأمثالها من دور العز والرفاهية، وكان قد أصبح عدد فرقتنا الثلاثين عضواً تقريباً، فما كان ذاك البيت ليضيق علينا بل لسان حاله يقول: «هل من مزيد؟» إلى أن هدم ليقوم محله البرلمان اللبناني والمكتبة العامة، كأنما هو بنيان مجد تهدم... حتى الآن لا ننسى الليالي الملاح التي قضيتها فيه، وساعات المرح التي شهدها بيت آل العشي، وبقيت الجمعية تعطي وتثمر حتى رغب فريق منها ومن غيرها أن يؤسسوا جمعية سموها (أسرة بيروت)، ولكن روح الصداقة والتعاون ظلت تعمر بها قلوبنا، ومن خير ما أنتجت «أسرة بيروت»: «ناتاشا» ثم تبعتها عدة مسرحيات منها: «النور في القبر»، «صرخة الألم» وغيرها مما لم أعد أذكره...

ويضيف شامل:

ـ مضى هذا العهد الذهبي وجاء عهد غيره، بدأت فيه أمسك القلم وأحاول التأليف، واتفقت مع المرحوم عبد الرحمن مرعي على أن نمارس النوع الكوميدي، وكان باكورة أعمالي أنني وضعت مسرحية هزلية باسم «المدرسة القديمة» عمادها معلم غبي وتلميذ «عبيط» ورحنا نمثلها في المجتمعات الكشفية وفي المدارس حيث كانت مؤثرة في كل الأمكنة التي ظهرت فيها تلك المدرسة القديمة، إذ إن ما تضمنته من نكات ومفارقات كانت تبعث على الضحك الحاد، حتى لو شاهدها المشاهد مرات ومرات، ومن بدء هذه الخطوة الموفقة ألّفت مسرحيات «الكركون»

محمد شامل في التسعينات



بيروت في البال

و«مشكلة زوجية» و«وراء البرفان» و«ضربة حظ» وغيرها من مسرحيات هادفة ضاحكة، وكان يعاوننا في ذلك الأخوان الصديقان إدمون وفرنان فارس، وقد لعبا معنا أدواراً موفقة ما زلت أذكر مدى نجاحها حتى اليوم، وكنا نعطي مواسم هذه المسرحيات على مسرح «الوست هول» في الجامعة الأميركية، وكم كانت تلك المواسم رائجة يكاد المشاهد معها لا يحظى بتذكرة دخول إلاّ «بشق النفس»، وأستطيع القول بأن الثنائي شامل ومرعي قد أسسا مدرسة فكاهية، ما قلدا فيها غيرهما، وكانت تحمل طابعاً خاصاً ممهوراً بتوقيعهما لا بتوقيع أحد، ويوم مات مرعي عام ١٩٥٩ استولى عليّ ضرب من اليأس أبعدني عن الفن وأهله...

كنت في تلك الفترة مديراً لمدرسة البنين الأولى التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في محلة «عين المريسة»... وقد يدهش القارىء لهذا الأمر حين يكون قد عرف أنني لا أحمل شهادة تخولني حق إدارة مدرسة معترف بها حكومياً... وقد يزول عجبه حين يعلم أنني التحقت بالمعهد الشرقي عام ١٩٣٩ الذي تشرف عليه «جامعة ليون» وتخرجت منه سنة ١٩٥٣ بعد أن قدمت أطروحة «أدب الخوارج»، وأنا أحمل شهادة «مجاز بالأدب»، والله يعلم كم قاسيت حتى استطعت أن أجمع أطراف الموضوع الذي اخترته، وأنا لا أدري كم سأبذل من جهد في البحث لأن «أدب الخوارج» لم يحوه كتاب موحد، بل هو منثور في كتب كثيرة، يحتاج البحث فيها إلى صبر وأناة طويلين. وكم من مرة حاولت الرجوع عن كتابة أطروحتي، لو لم يشجعني يومذاك الأستاذ الدكتور فؤاد أفرام البستاني بقوله: «أدب الخوارج» أدب مغمور ونحن نقدر لك ما تبذله من جهد»، وهكذا كان ويا نعم ما كان...


مقهى فلسطين في منطقة «عالسور» أركيلة وفنجان قهوة..

ويتتابع الكلام:

ـ سقياً لأيام كانت تخصب فيها

٤ بيروت

«المدرسة القديمة» أول أعماله المسرحية

مواسم الفن ونتلقاه أشبه ما يكون بالإلهام، كانت الفرق المصرية أيام الحر تهجر مسارحها وتأتي إلى لبنان... وقد سمعت ذات مرة الممثل أستفان روستي، وهو يعمل ماكياج الجرح الذي سيتلقاه من يد «بروتس» في مسرحية «يوليوس قيصر»، يقول: «سأرسل غداً مقالة لمجلة «روز اليوسف»»، وكانت تلك المجلة أكثر رواجاً من غيرها، وربما كانت تمثل المكانة التي نراها اليوم لأكبر المجلات الفنية وأوسعها انتشاراً في وطننا العربي. وأرسل أستفان ما قد وعد به، وإذ بـ «روز اليوسف» يصدر منها العدد الأخير وهو يحمل هذه العبارة: «إن شعب لبنان هو الشعب الوحيد الذي ينصت لنداء التمثيل»... وأنا أعرف صدق ما قال، لأنني كنت الشاهد والمشارك في نقد ما شاهدناه.

وكما قدمت، كان كلما حمي الحر في مصر، وطبعاً كان ذلك يحدث في الصيف، أتتنا الفرق لتلعب مواسم الأخصاب، ومن أشهر الفرق التي أمّت ربوعنا على التوالي فرقة أبناء عكاشة، عبد الله وزكي وعبد الحميد عكاشة، وكانوا يقدمون «المغناة»، وكان أول ظهورهم في مسرح كان يسمى ـ «الشوديفر» ثم انقلب هذا الاسم وصار اسمه الـ «رويال». ويوم صمم المرحوم سامي الصلح على فتح شارع الشيخ بشارة الخوري اختلط هيكل مسرح الـ «رويال» بما تهدم يومذاك، واحتل مكانه الفراغ...

وكان «الأمبير» قد تمّ بناؤه فحطت صديقة الطلبة فاطمة رشدي مع زوجها عزيز عيد في مسرح «الأمبير»، وكانت فرقة فاطمة تزاحم فرقة «مسرح رمسيس» وعلى رأسها يوسف وهبي الذي اختار «التياترو الكبير» لمسرحياته. ومن جملة ما رأيناه ونحن أصدقاء الجميع، أن كلا الفرقتين قد اعتمد أشهر التمثيليات، ففي يوم واحد كان يوسف وهبي يلعب الرواية التي تلعبها في اليوم والتاريخ ذاتهما فاطمة رشدي. ومن أشهر ما قدم الفريقان «مدام أو كاميليا» و«النسر الصغير» و«مصرع يوليوس قيصر». وكان دور «مدام أو كاميليا» عند فرقة مسرح رمسيس تلعبه زينب صدقي... كما لعبت الدور ذاته فاطمة رشدي وهكذا كان السباق بين الفرقتين على أشده...

ويمضي «الحديث» مع محمد شامل:

ـ ومع فرقة «مسرح رمسيس»، وفرقة فاطمة رشدي، أمّ بيروت أيضاً

بيروت قبل أن يزحف اليها «الاسمنت المسلح»



بيروت في البال

لنجيب الريحاني وفرقته، وكانت ترافقه زوجته بديعة مصابني، ويومها نظمنا له استقبالاً حافلاً، والتقيناه على الميناء حيث أخذنا معه بعض الصور التذكارية...

ومن جملة ما أنعم علينا الفن الذي كان بالنسبة إلينا نحن الهواة ميداناً لا يبلغه إلا العباقرة، أن أعضاء فرقة «التمثيل الأدبي» التي ألّفناها ربحت من هذا التطاحن الذي كان ينشأ بين الفرق المسرحية المصرية القادمة إلينا فكانوا هم يعطون وكنا نحن نتلقف ما صنعوا، وقد يحق لنا أن نسمي تلك الفترة «الفترة الذهبية»، وكثيراً ما كانت تلك الفرق الجبارة تنتقل إلى أكثر من بلد.. ثم تعود إلى مصر استعداداً للموسم الجديد، وكانت تترك الساحة لغيرها...

وأشهر هذا الغير جورج أبيض بصوته الأجش، ووقفته الصارمة على المسرح. وأكثر مسرحيات جورج المترجم منها أو الموضوع كان يقدمها في «تياترو الكريستال» الذي كان من أشهر المسارح يومذاك، وقد شاهدنا فيه موسماً لـ «الكوميدي فرانسيز»، ومن جملة من زار لبنان واشتغل فيه أمين عطاالله الذي قلب نظام «مسرح الكريستال» وجعل منه مسرحاً يومياً، وكانت شخصيته شخصية «كش كش بك».

وإبان الحرب العالمية الأخيرة أسس علي العريس فرقة «أوبرا كوميك»، وقد قدمت هذه الفرقة على يدي المرحوم علي العريس أغنى وأعظم الاستعراضات... وبعد أن نالت فرقته استحساناً ورواجاً بدأ الصرح الذي قدم عليه العريس أجمل أعماله وأضخمها ينهار، وأصبح مسرح «فاروق» يتلاشى حتى امّحت آثاره وذهب مجده، وصار مسرح «ترسو» زبائنه من طبقة معروفة... وفي بداية السبعينات انهار هذا المسرح، ولم يبق منه إلاّ الذكريات. كذلك تحول «التياترو

ساحة البرج يوم كانت عصب المواصلات في بيروت

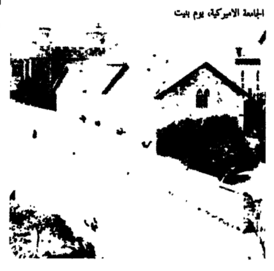


الكبير» من مسرح تؤمه أشهر الفرق المسرحية العالمية والعربية إلى سينما من الدرجة التي تعرض الأفلام الرخيصة.

ويقول محمد شامل:

ـ وكثرت مسارحنا وأصبح لنا رعيل تمثيلي أعطى الكثير، والمعول اليوم على فرق لا تلبث أن تحيا حتى يدركها الفناء، وكانت تلك الحقبة التي تحدثت عنها من أمتع ما مرّ بلبنان من حيث الكسب الفني، فقد كانت تلك الفرق التي تزورنا أداة للتلقيح، شدت أزر الهواة فراحوا يعملون ـ وقد كنت من بينهم ـ بجد وإخلاص، وإن كانوا فرقاً لا يكاد يجتمع شملها حتى تنصرف ليخلفها غيرها...

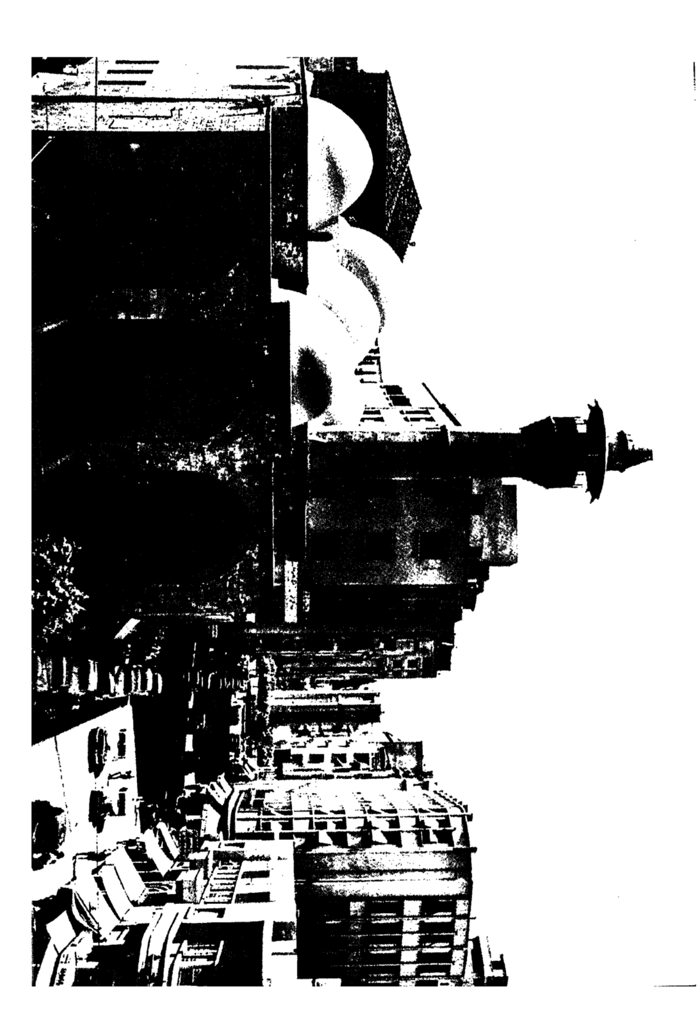
وهناك بطل واحد استطاع أن يوحد المسرح اليومي أعني به شوشو، ويوم رحل عن دنيا العذاب جرب الكثيرون أن يصنعوا كما صنع فباءوا بالفشل، فنحن في هذه الحال أفراد أقوياء، ولكننا عند التجمع يمكن أن نحصل على ثمرة عطائنا... لكننا مفرقون كل يريدُ المجد لنفسه... وكأننا بالأمس القريب لم نشهد معالم نهضة مسرحية من حق الحكومات أن تشجعها... وبصريح العبارة أصبحنا نندب عصراً مسرحياً ذهبياً ولّى، وما نشاهده اليوم ما هو إلاّ فلول المسرح التجاري السطحي، وكلنا اليوم بانتظار غودو...



الجامعة الاميركية، يوم بيت



جلاب، سوس، تمر هندي، براد لقال ومنعش



شارع المعرض وساعته التي يعهدون لعودتها

بيروت (٥)

محمد علي فتوح رائد الصحافة

كان الرجال يقومون بأدوار النساء... ولكن لمياء فغالي تخطت التقاليد فكانت أول ممثلة

غنى محمد عبد الوهاب في «التياترو الكبير» وتبعته أم كلثوم كما مثل على خشبته يوسف وهبي.

قال شعراً للفرنسيين والإنكليز كي يستعيض عن السجن بالحرية

«الكراكوز» و«صندوق الفرجة» كان المسيطر قبل انتشار المسارح والملاهي

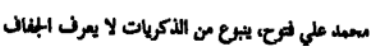
هو من مواليد ٢٣ كانون الأول (ديسمبر) العام ١٩١٠، رأى النور في بيروت وعلى وجه التحديد في سوق المنجدين حيث كان منزل عائلته ملاصقاً لجامع النوفرة...

إنه الشاعر الغنائي والصحافي محمد علي فتوح...

وعندما يتذكر الشاعر الشهير بيروت فإنه يتذكر أول ما يتذكر محلة تعرف باسم «التكنات»، كان يقطنها أهالي المدينة، أي في شارع المصـــارف حالياً... وكانت العائلة تتآلف مع أفرادها فأبي مثلاً ـ يستطرد محمد علي ـ كان يقطن مع عمي باعتباره الأكبر سناً، وكان بيتنا كبيراً يضم كل ما يستجد على عدد أفراد العائلة من زيجات وولادات...

ويتابع محمد علي فتوح حديثه قائلاً:

ـ أما البرج فلقد كان ساحة كبيرة تضم مطعم «أبو عفيف» الذي يعلوه «كوكب الشرق»، وكانت هناك سينما «رويال» أول دار عرض أنشئت في العاصمة، على أن الملاهي سبقت إنشاء دور العرض، وكان «الكراكوز» هو الشغل الشاغل للناس في محلة المعرض مع «صندوق الفرجة»... وعندما نذكر دور العرض لا بد أن نذكر سينما «كريستال» التي كانت عبارة عن مسرح أيضاً، وسينما «الديك» التي كانت تعلو ملهى «الباريزيانا» في محلة البرج، وسينما «ماجستيك» وسينما «ريكس» لأحمد الجاك، أي أن نشأة السينما كانت محدودة تعرض الأفلام الصامتة، وعندما أقول إن الملاهي سبقت إنشاء دور العرض فذلك لأن السينما كانت تعرف أيضاً كمسرح. ويوم جاءت فاطمة رشدي إلى


محمد علي فتوح، ينبوع من الذكريات لا يعرف الجفاف



بيروت في البال

بيروت مثلت على خشبة سينما «الديك»، كذلك عندما جاء يوسف وهبي مثّل على خشبة سينما «كريستال»، وهكذا راجت الفرق الفنية تتدافع للتمثيل على خشبات دور العرض كحال نجيب الريحاني وأمين عطاالله الذي يعرف باسم «كش كش» وغيرهم...

ويتابع محمد علي فتوح حديثه:

ـ ومع دخول الفرنسيين في أواخر العشرينات بدأت تبنى ملاهٍ جديدة كملهى «عويس» و«بلانش» في محلة البرج والمطعم الفرنسي بالإضافة إلى ملاهي الزيتونة التي تكاثرت وانتشرت، أما ملاهي محلة الدورة فقد كانت متنفساً للساهرين في أيام الصيف، باعتبار أن السهر كان يتأثر بالمناخ، فهناك ملاهٍ تنسجم مع أيام الشتاء، وهناك ملاهٍ أخرى تتفق مع حرارة الصيف. وفي «الدورة» غنت صباح ويوسف فاضل وحسن منيمنة وفؤاد زيدان في أوائل الأربعينات. وكانت هناك جمعية تعرف باسم «أسرة بيروت» يترأسها بابا رشاد الذي يملك اليوم مدرسة يديرها فالتحقت بالجمعية بناء على رغبته. وكانت المسارح تفتقد العنصر النسائي لذلك كان بعض الممثلين يقومون بأدوار النساء، حتى عندما غنت ماري شديد لم تعلن عن اسمها الصريح وإنما اكتفت باسم مستعار هو «المتكتمة»... وفي فترة ما جمعنا الحوار مع شيخ الفنانين عيسى النحاس وتمحور الحديث حول افتقاد المسارح العنصر النسائي فأرشدنا إلى لمياء فغالي، وكانت تمثل على خشبة مسرح المدرسة فانتقلت إلى المسرح معلنة ولادة أول ممثلة مسرحية في بيروت. وتجدر الإشارة هنا إلى نشاط الفنان علي العريس الفني والشخصي إذ تزوج أول ما تزوج من نادية شمعون التي كانت تعرف باسم نادية العريس، بنى لها مسرحاً يعرف باسم مسرح نادية، وهو المسرح الذي عرف باسم «كاريون» ومن ثم «فاروق» ف «التحرير»، وذلك قبل أن يرتبط بالفنانة آمال العريس. كما أنني أتذكر انهيار «كوكب الشرق» نتيجة خطأ هندسي، وقد تهدم «الكوكب» يوم الأربعاء، الساعة الرابعة وأربع وأربعين دقيقة، وفي الشهر الرابع من العام ١٩٣٤ وذهب ضحيته أربعة وأربعين قتيلاً... ويومها اعتبرت هذه الواقعة أعجوبة لتصادف الرقم ٤ في أكثر من ناحية ومجال...

ويتابع محمد علي فتوح قائلاً:

الابتسامة دائماً على فمه مهما كانت الصعاب



بيروت ٥

الرقم ٤ وكارثة «كوكب الشرق»

ـ يعتبر «التياترو الكبير» حديثاً بالنسبة إلى المسارح التي سبقته، وقد أنشأه جورج ثابت كمسرح قبل أن يتحول بشكل نهائي إلى دار للعرض... وقد غنّى فيه محمد عبد الوهاب سنة ١٩٣١، كما غنت فيه أم كلثوم أيضاً، ومثّل على خشبته يوسف وهبي وبعض الفرق الأجنبية، وأقيمت فيه حفلات تمثيلية كبرى من قبل عدد من الجمعيات التي كانت مطروحة في ذلك الوقت. وعندما كنا نرتاد «التياترو الكبير» كنا نلج أكبر وأفخم مسرح في ذاك الوقت، وهو عبارة عن ثلاث طبقات تعلوه قبة كانت تفتح وتغلق للتهوئة، أما الجمهور فقد كان من خيرة الشخصيات...

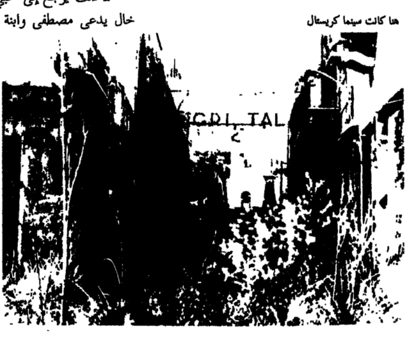
ويمضي الشاعر في كلامه قائلاً:

ـ كان عملي كصحافي يحتم عليّ التقاء الفنانين باعتباري أصدرت في أوائل الثلاثينات أول مجلة فنية، نصفها عربي ونصفها الآخر إفرنسي، وكانت تعرف باسم هوليوود. أقول أصدرت أول مجلة لأن المجلات الأخرى كانت مختلفة الاهتمامات لما كانت تخصص ركناً لمادة الفن ليس إلاّ...

□ ولماذا أصدرت مجلة فنية؟

ـ ذلك يرجع إلى حبي للفن، ويوم كنت في المهد صبياً كان لي خال يدعى مصطفى وابنة خال تدعى رمزه وكان يستهويها الغناء...

ويقال لي إن رمزه عندما كانت تغني كنت أناغيها، أي أنني عشقت الفن منذ نعومة أظفاري، وهذا ما جعلني وقتذاك أهتم بالشعر وأحقق الأغنية الشعبية كحال عمر الزعني الذي كان أستاذي في المدرسة (الكلية الإسلامية)، وكان في المدرسة فريقان للعب «الفوتبول» فقال لي إنه سيخصص شعراً لفريق وعليّ أن أهتم بدوري بالفريق الآخر... لكن الذي جذبني إلى الشعر بحق هو أنني كنت في منطقة المنيا (شماليّ لبنان) عندما نهض عبد الكريم عويضة، وهو شاعر من شعراء طرابلس المعروفين وقاضي طرابلس في آن ليقول



هنا كانت سينما كريستال

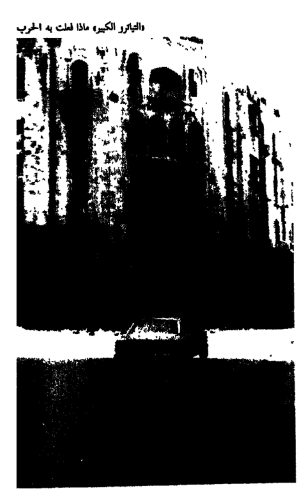
بيروت في البال

شعراً بحضور والدي الذي كان من طلبة العلم، ويومها تزوج طرابلسية لكي يدفع «بدل» يعفيه من العمل كعسكري. وفي كل ربيع كنا نزور طرابلس، وحدث أن الشيخ عبد الكريم دعانا إلى المنيا، وكنت في سن محيّر إذ إنني كنت في الثالثة عشرة من عمري، ولم يكن بمقدوري أن أجلس مع السيدات وكذلك لم يكن يُرحب بي للجلوس مع الرجال... ولكني من خلال هذا الواقع كنت أقرب إلى الرجال مني إلى النساء... مدح الشاعر طرابلس على أنها بلد الزهور والعطر الطيب فيما كان أبي يرد عليه أن بيروت هي الثغر الجميل وهي كل شيء... ولم أكتف بذلك بل قاطعت الشاعر فحولت هجاءه لبيروت إلى مديح فيها...

ويتحدث محمد علي فتوح عن حياته كشاعر فيقول:

– كان يطلب مني أن أنظم قصائد بالفصحى، فكنت ألبّي الطلب، وعندما انتشرت قصائدي عبر الأغنية وجدت أن أغنياتي تحتاج إلى الإذاعة اللبنانية التي كان يطلق عليها اسم «راديو الشرق» والتي قامت أول ما قامت على مجهود المصريين، وكان يتولى إدارتها الأديب ألبير أديب، فلفت نظري إلى أنه عليّ واجب تنظيم الأغنية. وكنت في هذا الوقت قد نظمت أغنيات للفرنسيين والإنكليز الذين دخلوا بيروت خشية أن يكون مصيري السجن... وفي أواخر الثلاثينات كنت أحرر أنا ويوسف إبراهيم يزبك في جريدة «الشرق» لصاحبها المرحوم عوني بك الكعكي، وكنت أحرر المسائل القضائية والأخبار المحلية ونبذات عن أهل الفن، أما يوسف إبراهيم يزبك فكان يكتب المقالات ضد الإنكليز... ولما داهموا المكتب ألقوا القبض عليّ ولم يكن يزبك موجوداً فاستعاضوا عنه بعمر أبي النصر كاتب القصة فاتجهت إلى «الأنباء» مستنجداً بألبير أديب الذي طلب إطلاق سراحي بحجة أنني أستطيع أن أنظم أغنيات سياسية للفرنسيين والإنكليز وهكذا كان... وطلب مني ألبير أديب أن أعمل في الإذاعة بمعدل خمس أغنيات في الشهر لقاء خمس عشرة ليرة لبنانية عن الأغنية الواحدة فقلت له من يحميني إذا ألّفت الحب والغرام؟ فلقد كان هذا المجال محرماً بدليل أن الشاعر الشعبي عمر الزعني عندما طرق هذا الباب قال: «نار الغرام ما بتنطفي ولا المحبة بتختفي» إلى هنا معقول، ولكنه أضاف: «عمروا ما حدا بيستحي حب الوطن من

«التياترو الكبير» ماذا فعلت به الحرب



بيروت ٥

٥ أغنيات كل شهر ورصيد ٣ آلاف أغنية

الإيمان» أي أنه مهما لفّ ودار فلقد اتجه إلى الوطن... وكذلك يحيى اللبابيدي من قبله قال: «يا ريتني طير لأطير حواليك، مطرح ما تروح عيوني عليك» ولم يستطع أن يكمل...

وعندئذٍ قال لي ألبير: إذاً ضعها تحت اسم مستعار فقلت له هذا معقول خاصة وأنني أستاذ في «المقاصد» أعلّم الفقه والدين. ونظمت يومها أغنية بعنوان «يا عربجي خفف سيرك السرعة ليه» لنجاح سلام التي ما زالت تغنيها حتى اليوم، هذه بداية طريقي كشاعر...

□ وكم قصيدة نظمت حتى الآن؟

ويطرق قليلاً يفكر ثم يقول:

ـ يمكن، أكثر من ثلاثة آلاف قصيدة...

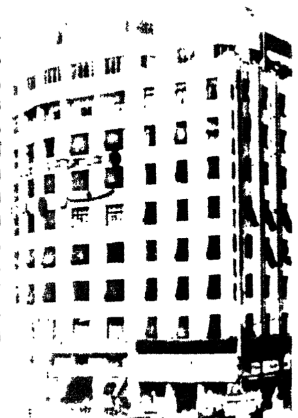
□ ومن أشهر من غنّى لك؟

ـ أشهر من غنّى لي محمد عبد الوهاب إذ شدا بـ «حن» و«سنة حلوة يا جميل»، كذلك فإن وردة الجزائرية غنت لي «دق الحبيب دقة في منتهى الرقة، وهبتلوا قلبي ما قلتلوش لأ» بالإضافة إلى مئة وأربعين أغنية لسعاد محمد منها: «مظلومة يا ناس»، «غريبة والزمن قاسي» و«الشوق يا بويا الشوق» وغيرها من الأغنيات، كذلك فإن فايزة أحمد غنت لي وأيضاً هدى سلطان التي غنت لي أربع عشرة أغنية، كما أن عادل مأمون غنّى لي. ويرجع ذلك إلى أنني أجدت الأغنية المصرية واللبنانية حتى أن نعيمة عاكف غنت لي في أفلام استعراضية، وفي أواخر أيامه لحّن لي زكريا أحمد أغنية «يا نسيم الشوق» التي غنتها سعاد محمد. ولقد تعاملت مع كبار المغنين والمغنيات أمثال وديع الصافي وصباح، وفي فيلم «فاتنة الجماهير» مثلاً غنت لي صباح ثلاث أغنيات. واليوم يغني لي مايز البياع كـ «عسل بشهده»، «كل يوم وأنت حبيبي»، «نعم حياتي»، «والله غالبين علينا»، أما نهاد فتوح ابنتي فقد غنّت لي «اسأل عني كل الناس»...

ويفرض السؤال نفسه:

□ لنعد إلى «التياترو الكبير»، هل هناك مزيد من الشرح عن هذا «التياترو»؟

مبنى سينما «الكابيتول»



ـ كان من أرقى دور العرض في بيروت، وقد استعمل كمسرح لفترة لأنه أنشيء على هذا الأساس... وجاء الفرنسيون فعملوا خط سير من الميناء حتى آخر محطة الحرج، أي أنهم وضعوا في الاعتبار إزالة «التياترو الكبير» كي يصح التخطيط ولكن ذلك لم يتم...

□ وما هي الأفلام التي كان يعرضها «التياترو»؟

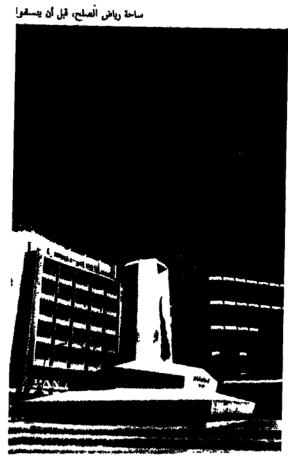
ـ كانت تعرض الأفلام الغربية إذ إن إنتاج الأفلام المصرية كان قليل العدد، كذلك هناك نقطة مهمة وهي أن ذلك الجيل لم يكن قد «تمصر» اللهجة بعد، وعندما شاهدت، محمد عبد الوهاب وأنا، مسرحية لعلي الكسار أدركت تماماً أننا لم نكن قد تفهمنا اللهجة المصرية بعد... وكان برفقتنا إبراهيم رشدي رئيس جمعية ترقية التمثيل الأدبي، ومن خلال هذا اللقاء يطل على المسرح محمد البهنسي الذي يغني على الشكل التالي:

«أصل الفسيخ من عنب
والوش من رمان
والعنكبوت من بلح
مطبوخ في بأذنجان
والناس قالت مسا
كلو جنان بجنان
البدر راح يشتري
قال طرشي من سمعان»

وفي هذا الوقت وجدت عبد الوهاب وإبراهيم رشدي قد استغرقهما الضحك في حين لم أفهم المعنى. وعندما انتهى العرض قلت لعبد الوهاب لم أفهم ما قيل، قال لي ونحن نهم بالدخول إلى الكواليس: «الكسار سيشرح لك المعنى» وعندها فهمت أن محمد البهنسي يمثل دور حشاش والحشاش يخلط الأشياء بعضها مع بعض وهو سارح في عالمه يقول: أصل الفسيخ من عنب، وفهمت أن الفسيخ هو سمك وأصله من عنب والباقي معروف باستثناء الطرشي الذي هو مخلل وسمعان عبارة عن محل كبير، وعندئذٍ ضحكت...

ويوضح محمد علي فتوح الكلام فيقول:

ساحة رياض الصلح، قبل أن يسقطوا



٥ بيروت

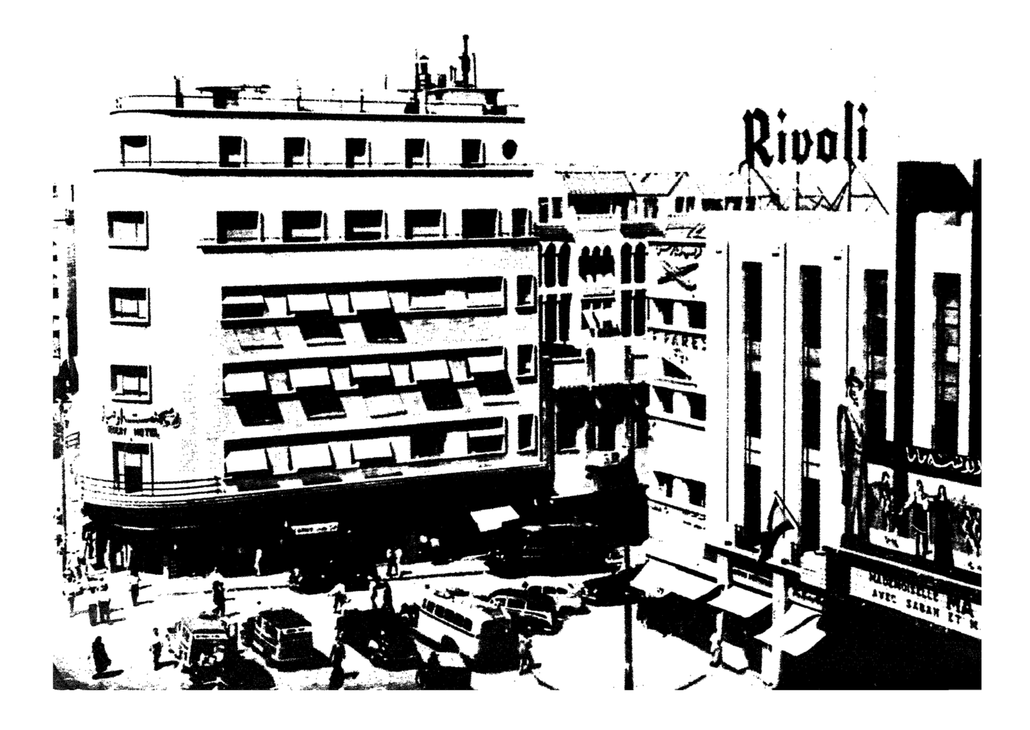
لحّن له زكريا أحمد وغنت له نعيمة عالكف

ـ والواقع أن أم كلثوم عندما غنت في بيروت لأول مرة كان ذلك في «التياترو الكبير»، وكذلك عبد الوهاب عندما غنى لأول مرة غنى أيضاً في «التياترو الكبير» ولم أكن مدعواً فدعوت نفسي إذ إنني كنت أتقاضى مصروفاً أسبوعياً من والدي عبارة عن ثلاث ليرات. وفي ذاك الزمن كان هذا المبلغ يوازي نصف ليرة ذهبية فجمعت ثمن تذكرة الدخول وقلت للعائلة إنني ذاهب للدرس مع صديقي، وكان يدعى شفيق النقاش، وفاتني أن أخبره بما دبرته... لذلك ما إن هبط الليل وعانق عقربا الساعة بعضهما حتى ذهب أخي بدر يسأل عني: فأخبره شفيق أنني لم أزره، وهنا غضب أخي وكبر غضب أبي الذي ردد بينه وبين نفسه: «كبر الولد وصار يسهر»... وفي «التياترو الكبير» كانت هناك سيدة جالسة في «اللوج» يكن لها عبد الوهاب الود، وغنى يومئذٍ «مجنون ليلى» و«يا جارة الوادي». وعندما وصلت إلى المنزل قرابة الثالثة وجدت والدي بانتظاري. سألني أين كنت فلم أكذب. وكان والدي يحب الفن وكانت المكافأة أن نقدني ثلاث ليرات ذهبية لأحجز ثلاثة مقاعد. وفي اليوم التالي ذهبنا للاستماع إلى عبد الوهاب، وكان في مقدمة الحضور أحمد شوقي، والأخطل الصغير بشارة الخوري، وكانت متعتي الكبرى أنني برفقة والدي وأخي...

كعك و«البطاء» مع قليل من الزعتر

السرايا الكبير سيصبح مقراً لرئاسة مجلس الوزراء




Rivoli

بيروت ٦

عبد الحميد سلام الضابط صاحب الباريزيانا

«الباريزيانا» بنيت على أنقاض سينما «الديك»

جاء الرئيس سامي الصلح ووضع كرسياً في مقدمة الطريق ليتفرج على شق شارع بشارة الخوري

غنى فيها العديد من أهل الفن أمثال وديع الصافي وصباح وفايزة أحمد

كان الجمهور ينقسم إلى «سميحة» من حلب وراقصون من كل مكان

عبد الحميد سلام (من مواليد بيروت العام ١٩١٦) اسم معروف لعائلة بيروتية عريقة، عمل كضابط في الدرك ووجد نفسه بعد وفاة والده صاحب ملهى ومطعم هو «الباريزيانا» لذا لم يمارس تلك المهنة وإنما قد ترك الآخرين من حوله يستثمرون ذلك الملهى المطعم لقاء مبلغ معيّن من المال...

وعندما يجمعك الحوار مع هذا الرجل تراه زاهداً في الحديث عن «الباريزيانا» وأمجادها، خصوصاً عندما تعلم أنه رئيس جمعية ابن خلدون، ونائب رئيس هيئة شؤون بيروت التي تهتم بالقضايا الاجتماعية...

معه وعن بيروت القديمة وصالة «الباريزيانا» وما استجد من أحاديث ذات شؤون وشجون كان الحوار...

يقول عبد الحميد سلام أول ما يقول:

ـ كانت بيروت عبارة عن ساحة البرج التي عرفت بعدئذٍ باسم ساحة الشهداء، وعندما افتتح شارع بشارة الخوري جاء الرئيس سامي الصلح ووضع كرسياً في مقدمة الطريق يتفرج، ويومها بدأ شق الشارع... وكان الترومواي يتجه إلى مناطق البسطة والحرج والنهر في اتجاه، يقابله ترومواي آخر يتجه إلى منطقة رأس بيروت حيث المنارة التي تعتبر متنفساً للبيروتيين، وكان ثمن التذكرة بقرشين ونصف القرش... وكانت المنطقة التجارية عبارة عن شارعي فوش واللنبي، ثم أضيف إليهما شارع المعرض الذي كان عبارة عن تخشيبات، إلى أن أزيلت التخشيبات مع مرور الوقت ليعم محلها العمران...

كنت أراقب العمل في «الباريزيانا» من بعيد لبعيد...



بيروت في البال

وكان التجار يتجهون إلى المرفأ الذي يقع مع نهاية شارع فوش وبُني بعدئذٍ مسجد اسمه جامع الصدّيق...

ويتوقف الرجل قليلاً عن الكلام ثم يتابع حديثه:

ـ أما دور اللهو، فلقد كانت المنطقة التجارية تكتظ بها كسينما «روكسي» و«الأمبير» و«ريكس» و«كابيتول» التي كانت تواجهها سرية الإطفاء. وقبل أن تشيد دور العرض هذه وغيرها كانت الأمكنة عبارة عن «خانات» يجتمع فيها الدواب، هكذا أخبرنا الآباء...

كذلك كان يقع في المنطقة التجارية سوق الخضار الذي كان يعرف باسم «سوق النورية» وسوق سرسق، وعلى مقربة منه أنشئت سينما «ريفولي» لآل الآغا والتي ما يزالون يملكونها حتى اليوم... أما تجار القمح فلقد كانوا يستعينون بالترومواي للوصول إلى الميناء، وكانت هناك قطارات أخرى تصل إلى عاليه وبحمدون وصوفر مصايف البيروتيين، كما كانت هناك قطارات توصل الركاب إلى دمشق وحلب... تلك هي بيروت سابقاً...

وأسأله:

□ وكيف بنيت «الباريزيانا»؟

ـ كانت «الباريزيانا» تتصدر ساحة البرج شرقاً، ولقد بنيت على أنقاض سينما «الديك» التي اشتعلت فيها النيران، واشتراها يومذاك شخص يدعى لطف الله الحكيم وبقيت في عهدته حتى العام ١٩٤٥ حيث ذهب لملاقاة ربه.. ولم يكن للرجل أبناء وإنما بنتان متزوجتان، وبرز من بين الورثة خالهم عزيز العشقوتي الذي أراد أن يحرر أولاد أخته من هذا العبء فاشترى قسماً منها، قابله من ناحيتنا شراء الوالد بالتعاون مع إبراهيم النايل القسم الآخر، أما ماضي «الباريزيانا» أيام لطف الله الحكيم فلقد كانت ملتقى فنياً مهماً للمطربين والمطربات والفنانات الباقيات...

ساحة الدباس في الستينات



٦ بيروت

صالح عبد الحي غنّى فيها

□ مثلاً؟

ـ صالح عبد الحي غنّى فيها، وكذلك وديع الصافي وصباح وفايزة أحمد ونور الهدى وهيام يونس وسميحة القرشي العازفة على القانون كانت تغني فيها بدورها، وثمة مطرب مصري شهير كانت تربطه وشائج الود والحب مع محمد عبد الوهاب غنّى فيها...

□ هل هو عبد الحليم حافظ؟

ـ لا ...

□ كارم محمود؟

ـ كارم محمود غنّى فيها ولكنه ليس المطرب الذي أعنيه...

□ جلال حرب؟

ـ جلال حرب غنّى فيها أيضاً...

□ سعد عبد الوهاب؟

ـ لا ...

□ محمد قنديل؟

ـ محمد قنديل اشتغل في «الباريزيانا»...

□ صار عندي فضول لمعرفة اسم المطرب...

ـ وأنا كذلك وسأحاول التذكر أثناء حديثنا...

□ لنحصر حديثنا بـ«الباريزيانا»...

ـ هي بيدنا منذ العام ١٩٤٩ حتى اليوم...

□ كم تبلغ مساحتها؟

ـ أكثر من مئة متر مربع...

□ عبارة؟

ـ عبارة عن طابقين قسم صيفي وآخر شتوي...

□ ومن كان يقصدها من الرواد؟

ـ كل أبناء بيروت كانوا يقصدونها... ولم تكن «الزيتونة» قد عرفت مجدها بعد...

تجارة الدبوس صارت رمزاً لتجارة الأعشاب والنباتات المجففة نسبة الى اسرة «دبوس» البيروتية العريقة



بيروت في البال

□ هل ثمة أسماء شهيرة كانت ترتادها؟

ـ الحقيقة لم أكن أقصدها لكي أعرف الأسماء... اشتراها الوالد فكنا نكشف عليها من بعيد لبعيد، كنا نضمنها ضمان لشخص يدعى صلاح الغندور ولعفيف كريدية الذي كان يملك مسرح «فاروق»... ثم نهضت «الزيتونة» فمد عفيف خيوط الحرير إليها واشترك في صنع حركة الليل فيها... هذا ما أعرفه، كل ما أعرفه، إذا أردت المزيد فما عليك إلاّ مقابلة إبراهيم النايل الموجود اليوم في «المريجات»... هو كان يعمل فيها...

□ وكيف كانت تتم سبل الدعاية، كيف كان يعلن عن برنامجها؟

ـ لم تكن تحتاج إلى دعاية لأنها كانت تتصدر البرج... لذا فقد كانت الدعاية منها وإليها، وساحة البرج ساحة شهيرة كان يقام فيها عيد الشهداء وعيد الاستقلال وإلى ما هنالك من تجمعات... لذا رأى القائمون عليها أن الدعاية غير ضرورية...

□ إذا استتب الأمن وقام السلام فماذا تفكر بشأنها؟

ـ هذا حديث سابق لأوانه... ولنفرض أن الحرب انتهت فإن الحديث يفرض علينا الاتفاق مع الملاكين حول هويتها الجديدة...



سوق الصاغة والجوهر

□ ينص الاتفاق على أن «الباريزيانا» ملهى؟

ـ ملهى ومطعم... يمكن نعملها مطعم إذا هدأت الحرب، وسارت الأمور كما يجب فموقعها ممتاز...

ويحملنا الحديث إلى محطات جديدة:

□ وكيف كان يتشكل الذوق الفني في تلك الأيام؟

ـ كان الجمهور عبارة عن قسمين، قسم «سميعة» وهؤلاء كانوا

٦ بيروت

جمهور من «السميعة» وآخر من «الراقصين»

يأتون على الغالب من حلب، ليستمعوا إلى أغاني الطرب من المطربين والمطربات، وقسم آخر يدور في فلك الرقص...

□ أي أن قسماً كان يسمع بأذنه وقسماً كان «يسمع» بعينيه...

ـ هذا صحيح... (ويضحك...).

□ ومن هو المطرب أو المطربة التي كانت تسيطر على «السميعة» ولها معجبون ومعجبات أكثر من سواها...

ـ هذه مسألة ذوق واختيار شخصي، على أنه مع تغير المواسم كانت تتغير الوجوه...

□ وكم استمرت «الباريزيانا»؟

ـ استمرت من أواخر الأربعينات لغاية منتصف السبعينات يوم أغلقت ساحة البرج وحل الدمار والخراب...

□ من خلال نظرة سريعة إلى الملاهي والمطاعم ومقارنتها مع بعضها البعض يكتشف الشخص أن القائمين على «الباريزيانا» لم يسايروا زمن التطور فتركوها على حالها، في حين أن هناك دور ملاهٍ أفضل منها...

ـ هذه نقطة جوهرية، وذلك يرجع إلى منافسة «الزيتونة»... تماماً كما حدثت المنافسة مع منطقة «الروشة» فأخذت من وهج «الزيتونة»، واليوم يتجه الفن إلى الضواحي أكثر ما يتجه... إنها خريطة الحرب غيّرت وبدّلت ولا نعرف شيئاً عن المستقبل إلاّ عند إحلال السلام والتزام حركة العمران...

وأسأله:

□ لننتقل إلى ذوقك الفني الشخصي، من تفضل من المطربين والمطربات؟

ـ أفضل أم كلثوم سيدة الطرب، وبنفس كمية الإعجاب لها أعجب أيضاً بمحمد عبد الوهاب سيد الموسيقى والغناء... ويأتي بعدهما فريد الأطرش، أما من القدامى فأميل إلى الاستماع إلى سيد درويش وصالح عبد الحي اللذين يشكلان الثروة الفنية. الحقيقة صدق من قال أن مصر هي أم الفن في العالم العربي...

□ وهل سافرت إلى مصر؟

أقفلت الصالة مع حلول الدمار والخراب...



بيروت في البال

ـ كثيراً ...

□ ولمن تستمع عندما تسافر؟

ـ أدور في الفلك ذاته، يضاف إليه أنني ذات مرة نزلت في أحد الفنادق فلفتتني مطربة كانت تطلق المدائح وقد غاب اسمها عن ذاكرتي... في مصر صغيرهم وكبيرهم فنان...

□ لننتقل إلى المهنة التي زاولتها في حياتك؟

ـ عملت كضابط في الدرك، وعندما أعفيت من الخدمة افتتحت كاراجاً في مبنى سينما «بيبلوس» شراكة مع أحد الأصدقاء كما افتتحت محلاً في سوق الخضار...

ويفرض السؤال نفسه:

□ إذا أقمنا المقارنة بين جمهور الماضي وجمهور اليوم كيف تتشكل المقارنة؟

ـ أغلبها يدور في بوتقة الأخلاق... رحم الله والدي ووالدك... لقد كان لوالدي رأي في هذه المسألة وهو عندما يرحل جيل عن الدنيا يرحل معه قسط من الوفاء والكرم والأخلاق...

□ إننا نرى أجيالاً غير مرتبطة بالقيم بالفعل؟

ـ هذا صحيح، وكان عندما يقصد الناس الملاهي حباً في الاستماع إلى فنانهم المفضل كان لسان حالهم يردد: جئنا للاستماع إلى الغناء وليس للاستغراق في عرض العضلات وإثارة المشاكل... اليوم لا، ثلاثة أرباع الناس يأتون لغاية أو مأرب مختلف... هذا ما أعرفه...



ساحة الشهداء ايام الترامواي

□ عشت في عصر لم يكن فيه التلفزيون قد اكتشف بعد... ولم يكن عدد المطربين قد تزايد على ما هو عليه اليوم، وكان اكتشاف العصر هو الراديو...

ـ هذا صحيح، فعندما اكتشف الراديو كانت المحطات الإذاعية تشكل

٦ بيروت

الزيتونة تضت على ساحة البرج

محور اهتمام الناس وكان لإذاعة القاهرة ولندن جاذبية خاصة...

□ هل هناك حكايات أو مفارقات عاشتها صالة «الباريزيانا»؟

ـ عندما كانت «الباريزيانا» في عهدة لطف الله الحكيم علمنا أنه كان يدير جانباً منها لمزاولة لعبة القمار، وهذا ما جعل شرطنا الأساسي الأول بالنسبة إلى الأشخاص الذين تعاقبوا على استثمارها بعدئذٍ أن لا يدخل القمار إلى الصالة وهكذا كان...

□ وكم كانت السهرة تكلف الشخص في ذاك الوقت؟

ويجيب بلهجته البيروتية المميزة فيقول:

ـ كانت التكلفة بسيطة، عشر ليرات كانت كافية...

□ ومتى كان ينتهي تقديم البرنامج؟

ـ كان ينتهي في الثالثة صباحاً... أضف إلى ذلك أن الشخص كان يتناول طعام العشاء فيها إذا أراد...

□ وهل كان هناك رسم للدخول؟

ـ لا، لم يكن هناك أي رسم...

وبدون أن أسأله، فجأة يبدو عبد الحميد سلام وقد تذكر جديداً لم يقله:

ـ نسيت أن أخبرك أن علي العريس «ضمنها» وحولها إلى مسرح فاستبدل الديكور القديم بديكور جديد... وعملت فرقته على خشبتها...

□ وما هي المسرحيات التي قدمها؟

ـ لم أعد أذكر الأسماء وإنما أعرف أن زوجته شاركته العمل وعديد من الممثلين...

□ وكم استمر العمل في المسرح؟

ـ سنة وما يزيد عن السنة... وكان علي العريس شاطراً وذكياً ومحبوباً ولكنه كفنان لم يأخذ حقه...

وقبل أن أطرح عليه سؤالاً جديداً قال:

ـ أعتقد أن جلستنا أصبحت كافية، أنا نفسي لم أكن أتصور أنني أختزن كل هذه المعلومات عن «الباريزيانا»... أما المطرب فهو محمد عبد المطلب...

بائع القهوة العربية، مرة أو حلوة، مذاقها طيب





٧ بيروت

حسن الجاك: ساحة البرج كرسي بيروت

بيروت عروس العواصم وهذه تسمية صحيحة مئة بالمئة

عمل في سينما والده منذ كان اسمها «ريكس» إلى أن أصبح اسمها «الزهراء»

قابلته أم كلثوم بالوفاء منذ جاء بها والده إلى بيروت إلى أن اختتمت حفلاتها في بعلبك

كانت السينما هي التسلية الأهم للناس إلى أن جاء التلفزيون

عندما يتحدثون عنه يستبقون اسمه بالباشا، الباشا قال، الباشا يرى، الباشا اقترح، الباشا ينوي القيام بمشروع كذا... وهو في معاملته الكريمة لجميع الطبقات يستحق أن يحمل لقب الباشا، الإنسان...

والباشا حسن الجاك (من مواليد بيروت ١٩٣٠) هو باشا بالفعل، يستقبلك أحسن استقبال، ويستمع ملياً إلى السؤال الذي تطرحه عليه، ويجيب بطلاقة ومهارة وسرعة خاطر، معه يتلاحق الحديث فقرة فقرة وكأنه مسدس سريع الطلقات...

وفي جلسة سادها هدوء مؤقت للحرب المجنونة كان اللقاء معه...

قلت له وهو يستأنف تدخين سيجاره:

□ كيف يتذكر الباشا بيروت؟

قال ودخان سيجاره يتصاعد في صالون منزله فيحيل الدخان إلى سحب ودوائر:

ـ أنا أعرف بيروت كما هي على حقيقتها وكما يسمونها عروس العواصم، هذه تسمية صحيحة مئة بالمئة بالفعل، كانت بيروت ملتقى كثير من الجنسيات فكيفما اتجهت لا بد أن تزور بيروت إما بطريق «الترانزيت» وإما بطريق الإقامة المؤقتة أو الدائمة...

□ وكيف كانت ساحة البرج تتشكل قديماً؟

ـ ساحة البرج كانت كرسي بيروت، يجلس عليها كل متعب، وكل قاصد فن أو ترفيه عن النفس، كانت ملتقى جميع الطبقات...

□ وكيف نشأت دور السينما؟

حسن الجاك موسوعة فنية



بيروت في البال

ـ دور السينما نشأت في أعقاب الحرب العالمية الثانية بسنوات، وصارت دور السينما تتطور باتجاهها نحو الضخامة والفخامة...

□ وما هي أول صالة سينمائية أقيمت؟

ـ هذه أشياء لا أذكرها...

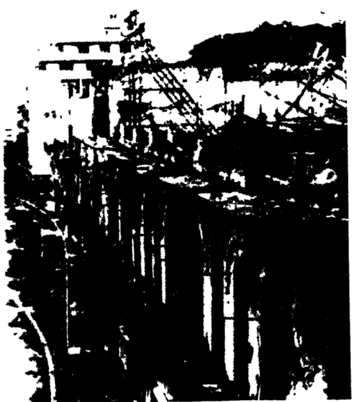
□ وما هو الشيء الذي تذكره؟

ـ قصدت بالقول السابق أنني لم أعايش نشأة دور السينما فقد كانت قبل أن أولد وستبقى بعد أن أرحل...

□ ألا تستطيع تذكر أول مشوار قمت به إلى ساحة البرج؟

ـ عندما توقفت عن الدراسة اتجهت إلى البرج، وكان والدي رحمه الله يملك دار عرض تدعى «ريكس» فكنت أتردد عليها وأرصد تحركاتها، ومع مرور الأيام تطورت وأضيف إلى تسميتها كلمة «نيو» فأصبحت «نيو ريكس»... بعدها تقلبت بين عديد من الأسماء فمن «ريكس» إلى «نيو ريكس» أصبح اسمها بعدئذٍ «أوديون» و«كايرو» و«الزهراء»... وكانت متخصصة بعرض أهم الأفلام العربية... ولكنها ذهبت مع كل المرافق التي قضي عليها في منطقة البرج... الحقيقة شو بدي قول؟ كان البرج شعلة حيوية ونشاط ومقصداً... وفي الواقع لا أستطيع أن أصف لك أسفي عندما يذكر اسم البرج فبيروت بلا البرج لا شيء... البرج كان القاعدة...

هنا كان ملهى «الباريزيانا» في ساحة البرج



□ لنتحدث عن تحصيلك العلمي، ماذا درست؟

ـ درست التجارة... فأنا الشاب الوحيد في العائلة، لذلك نزلت باكراً إلى ميدان العمل، وكان ذلك في الخمسينات... لقد عملت في السينما كما عملت مع الشركات التي تنضوي تحت خانتها...

وأسأله:

□ من هم نجوم السينما البارزين في تلك الفترة؟

ـ النجوم البارزون في السينما كثيرون ولكنهم كانوا قمماً، في ذلك الوقت كانت هناك راقية إبراهيم...

٧ بيروت

من «ريكس» الى «اوديون» ثم «كابرو» والزهراء

ويستغرقه التفكير للحظات ثم يتابع:

ـ كذلك كانت هناك ماري كويني وآسيا داغر، أنور وجدي، حسين رياض، أحمد علام، سراج منير وعباس فارس، فطاحل السينما...

□ أذكر أن نجوم السينما كانوا يحضرون حفلات عرض أفلامهم...

ـ من وقت لوقت كان يجيء البطل والبطلة ليحضرا عرض أفلامهما شخصياً، هذا صحيح...

□ أمثال من؟

ـ أمثال السيدة فاتن حمامة التي حضرت أكثر من عرض وأنور وجدي... كذلك جاء عبد الحليم حافظ، حتى أن الأستاذ محمد عبد الوهاب رعى أفلامه من خلال أسبوع فني أقيم لذلك فكان أقرب إلى المهرجان منه إلى الحفلات المألوفة... كل يوم يغادر فندق «شبرد» الذي اعتاد النزول فيه في مصيف بحمدون ليتجه إلى صالتنا.. كان يجاذبنا الحديث في مكتب الإدارة، وعندما تحين الاستراحة يطل على الجمهور، ولقد كان مواظباً على حضور كل الحفلات...

وتبدو آثار سينما «الزهراء» لناحية اليسار



□ لقد اشتهر بالدقة؟

ـ في الواقع هو دقيق كثيراً...

□ وهل تذكر بعض المفارقات في هذا المجال؟

ـ أذكر من ضمن ما أذكر أنني كنت وكيلاً لأفلام عزيزة أمير السيدة التي أسهمت في بناء صناعة السينما المصرية إسهاماً كبيراً ومحمود ذوالفقار في بيروت، وكنا بصدد فيلم «فتاة من فلسطين» أول أفلام المطربة سعاد محمد، وكان من إنتاج محمود ذوالفقار... وجاء الثلاثة فحضروا العرض، ولكن الفيلم لم يحقق النجاح المطلوب رغم الجهود المبذولة... وربما يرجع السبب أن الفيلم عرض في وقت غير ملائم له، فقد كان تاريخ عرضه على ما أذكر في الشهر الخامس من السنة...

□ وهل وقعت حوادث مؤسفة للنجوم الذين كانوا

بيروت في البال

يحضرون عروض أفلامهم ولا سيما أمام هجمات الجمهور؟

ـ كان الجمهور يهجم على الفنانين بالفعل من فرط حبه وإعجابه لهم، محاولاً أن يترجم حبه أو إعجابه إلى واقع، فأحدهم يفخر بأنه رأى الفنان الفلاني شخصياً، وآخر يعتز بأنه لمسه، وثالث بحصوله على صورة موقعة منه وإلى ما هنالك من مواقف تؤكد حب الناس لفنانيهم المفضلين وإعجابهم بهم...



حسن الجاك مع أم كلثوم صداقة مور

ويتفرع الحديث إلى دروب جديدة:

□ وما هي المدة التي عملت فيها كسينمائي وصاحب دار عرض؟

ـ عشرون سنة تقريباً...

□ وكم كان يبلغ عمرك؟

ويستغرقه التفكير قليلاً فأجيبه:

□ بعدك يا باشا شيخ شباب، أنا مع همومي أبدو أكبر منك سناً...



شارع فوش أيام «العز»

ويقول:

ـ كما أخبرتك نزلت باكراً إلى دنيا العمل، وعملت في مجال الأفلام العربية، ولقد كانت الحياة لذيذة وممتعة بالفعل...

□ أنا أذكر جانباً من العهد الذهبي للبرج، وأذكر أن الصالات السينمائية كانت تخصص بطاقة للطلاب اسمها «أوتوديون» يسري على صاحبها تخفيض سعر تذكرة الدخول إلى السينما بالإضافة إلى «الدفاتر السنوية» المهداة للشخصيات والمهتمين...

وتلوح على وجهه ابتسامة فرح ويقول:

ـ هذا صحيح... كان البرج عالماً قائماً بذاته...

٧ بيروت

ذكريات العهد الذهبي «للمبرج»

□ أخبرني عن دور العرض، كيف كانت وكيف تكاثرت؟

ـ دور السينما الأساسية كانت «روكسي» و«أمبير» و«ماجستيك» و«رويال» التي أفتتحت قبل أن يشق شارع بشارة الخوري و«كريستال» وغيرها، ثم تكاثرت دور العرض فأصبح هناك «ريفولي» و«دنيا» و«متروبول» و«هوليوود» ثم الـ «بيبلوس» وغيرها...

□ كانت السينما في ذاك الوقت هي التسلية الأهم للناس...

ويقاطعني قائلاً:

ـ هذا الكلام ينطبق على الواقع قبل اختراع التلفزيون، كما أن تسلية العائلات انحصرت بالاتجاه إلى الملاهي والتفرج على برامجها الحية...

□ لماذا كنتم تغيرون اسم السينما بشكل شبه دائم؟

ـ هذا يرجع إلى أنني كنت أضمّن السينما ضمان، أي استثمار، وكنت أجد المستثمر ميال إلى تغيير الاسم، ولم نكن نقف أمامه حجر عثرة بل كنا نترك له الخيار المناسب...

□ وكم كانت أسعار الدخول؟

ـ ستون قرشاً في بعض الأيام و٧٥ قرشاً وليرة ونصف الليرة، للبلكون وليرتين «للفوتيول»...

حسن الجاك يأخذ نفساً من سيجاره...



حسن الجاك يقيم مأدبة على شرف السيدة أم كلثوم

ويفرض السؤال نفسه:

□ آن الآوان لنعرف من أين جئت بلقب الباشا؟ وتحدثنا عن الوالد لمحات حتى ننعطف إلى الحديث عن علاقتكم الممتازة مع السيدة أم كلثوم التي كان يطلب الباشا منها إحياء حفلة أو حفلات فتستجيب لطلبه...

ويقاطعني بضحكة سرعان ما يقول في أعقابها:

ـ لم تكن قضية طلب، ولكن «الست» كانت تتميز بالوفاء، فعندما حدثوا والدي عنها اتجه إلى مصر وتعاقد

بيروت في البال

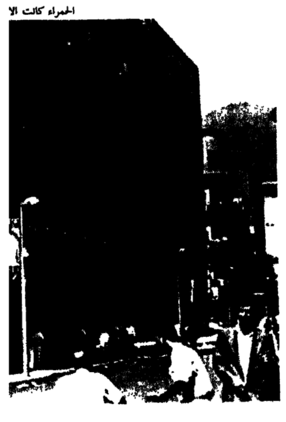
معها لإحياء أول حفلة لها وكانت في «الغراند تياتر»، أي «التياترو الكبير»... ومن طبع «الست» إذا أقدمت على تجربة ونجحت لا تغير... وفي الواقع نامت عندنا في البيت مع أول زيارة لها، إذ كما أخبرتك أنا الابن الوحيد ولديَّ ثماني شقيقات...

□ ماذا كان يملك الوالد؟

ـ كان يملك بناية وسينما و«كوكب الشرق»... وقد انتقلت علاقة والدي المحببة إلى نفسها إليَّ فأقمت لها عدة حفلات في بيروت والجبل وبعض البلدان العربية وأبرزها دمشق...

□ كانت أم كلثوم مشهورة بظرفها هل هناك مواقف ضاحكة بينك وبينها؟

ـ أم كلثوم وبسرعة خاطرها صفتان تذكران أول ما تذكران حول شخصيتها، كذلك كانت «ست» صالون من الطراز الأول تحترم الجميع دون استثناء كما أنها كانت تملك الكثير من الوقار الذي يلفها...



الحمراء كانت الا

□ هذا طبيعي كونها مطربة لا تتكرر...

ـ بل هي في الواقع معجزة...

□ يتردد بأنها عندما غنت في بعلبك كان ذلك بواسطتك؟

ـ هذا هو الوفاء الذي تتسم به...

□ وكم «بروفة» كانت تخضع الأغنية؟

ـ عشرات المرات، أما المدة الزمنية فكانت تصل إلى عدة أشهر... وقتها كله كان للفن ولم تكن ميالة إلى اللهو...

□ وما هي الأغنيات التي كانت ترددها؟

أشهرها «يا ظالمني» بالإضافة إلى ما لحنه لها محمد عبد الوهاب وبليغ حمدي وغيرهما...

□ هل تذكر طرفة لها؟

ـ أذكر أننا كنا بصدد حفلة صادف أنها أقيمت في شهر رمضان المبارك، ولما كان العمل المضني يحتم علينا الإفطار فقد دعتنا إلى حفلة تكريمية ضمت شخصاً عزيزاً علينا هو وديع رمضان الذي

٧ بيروت

لقب «الباشا» ورثته عن والدي

كان يعمل في مفوضية السياحة، وكان يجلس بالقرب مني فرد من العائلة استقر في مقعده دون أن يأكل مما جعل «الست» تقول له:

ـ لم لا تاكل... فأجابها: أنا صائم يا «ستي»...

وهنا حبكت النكتة معها فقالت:

ـ أنت صايم... أهوه رمضان فطر...

وأعود لأكرر طرح السؤال عليه:

□ لم تحدثني عن لقب الباشا كيف التصق باسمك؟

ـ هذا اللقب كان يسبق اسم والدي منذ أيام الأتراك وقد انتقل إليّ... وهو لم يكن يحب أن يناديه به أحد...

□ وهل تغضب إذا ناداك أحد به؟

ـ لا ... ولكنها أصبحت قصة قديمة...

□ حكايات الألقاب هذه سادت العديد من العائلات في الماضي فيوسف وهبي مثلاً كان يعرف بـ «البيك»... إذا انتقلنا إلى البرج ماضياً وافترضنا أن شخصاً يريد قضاء يوم فكيف يمضي يومه؟

ـ مهما تجول الشخص في «البرج» وطرق أبواب قطاعاته ومحلاته يبقى هناك شيء جديد بأن يراه... لتميز لبنان وقرب الساحل إلى الجبل وبالعكس... وأنا أتذكر الآن صديقاً سائحاً قال لي وهو يشهد الحياة في بيروت: «الله يستركم، فأنا أخاف أن تصيبكم عين حاسد»... وهكذا كان... انني كما تلاحظ كلما وصل الحديث الى نقطة «البرج» اشعر بالأسى... لقد كانت بيروت ملتقى اللبنانيين والأخوان العرب وسياح العالم... كانت تختصر الدنيا...

حسن الجاك يستقبل السيدة أم كلثوم والى اليسار السيد خضر دربان





-ساحة الشهداء وقد هدمتها الحرب ويظهر في منتصف الصورة، ناحية اليمين، المكان الذي كان يضم صالة نعيمة...

٨ بيروت

نعيمة المصرية وعبد الناصر والاستعمار!

عبد الناصر أبرق لها وسامي الصلح لعب معها «دق طاولة»

أم كلثوم وضعت أذنها على بطنها وقالت «خذي بالك»

رياض الصلح بعث أنصاره للاطمئنان على سير عملها

كل قبضايات البلد كانوا يطلبون رضاها فيما كان أصحاب الصالات يخافون منهم

في العام ١٩٥٨، تقول الصحافية هدى المر، وردت إلى بيروت برقية من رئاسة الجمهورية العربية المتحدة ـ مصر تسلمتها سيدة مصرية مقيمة في لبنان جاء فيها: «حضرة السيدة نعيمة رضوان حسين ـ الخندق الغميق ـ ملك الخليل، بيروت: أشكرك على ما عبرت عنه من مشاعر، وإني لأدعو الله أن يسدد خطانا، وأن يحقق لنا النصر في معركتنا ضد التآمر والاستعمار الصهيوني. وإني لأبعث إليك بأطيب التمنيات. جمال عبد الناصر».

وفي ٥ كانون الأول (ديسمبر) العام ١٩٦٥ تلقت: «ابنتي الحبيبة نعيمة المصرية» صورة ملصقة على ورقة كتب عليها «هدية متواضعة» وجاء فيها: «هذه الهدية بمناسبة ما سبق من مجهودها حينما كانت تعمل معي في فرقتي فكانت مثال الممثلات في عملها وفنها وحفظها لكرامتها. ولهذا أنعم الله عليها بأنجال ترفع رأسها بآدابهم، كما أنعم الله عليها بزوج ملأ منزلها رجولة وكرامة فلها كل تمنياتي ودعائي. أمين عطاالله».



يوم كانت نعيمة المصرية...

ونعيمة حسين التي اشتهرت بين عشاق الليل البيروتي بلقب نعيمة المصرية، أقدمت في منتصف السبعينات على ارتداء الثياب البيضاء الطويلة الطويلة إلى درجة لا يظهر معها ستر من جسدها.

وكان هذا الجسد منذ العام ١٩٣٧ بعض ما أضاء ليالي بيروت والقاهرة. وإن نعيمة المصرية ليست في حاجة إلى المزيد من التعريف لمن ركبوا الليل في قطار السهر العابر من القاهرة إلى بيروت وبالعكس.

بيروت في البال

وكانت، نعيمة المصرية، كلمة تملأ أفواه «السهارى» والسكارى. وكان يكفي ذكر اسمها حتى يترنح الليل في رؤوس عشاق الليل.

أما اسمها، ومشتقاته، وفروعه فقد كانت اللآلىء التي تضيء الليل...

كانت نعيمة المصرية مثل جرعة في فم عطشان. وكانت، يا ما كانت... صاحبة كباريه فوق أحد المحلات التجارية في ساحة البرج أو ساحة الشهداء.

وبعدما كانت نعيمة المصرية من كانت، صارت فيما بعد حاجة من أعلى رأسها إلى أدنى قدميها. ومعها، من أجل ذلك كله هاجت الذكريات ذات يوم وكان الحوار معها:

□ بماذا تحبين أن نناديك؟

ـ حاجة، بقى لي سنوات، كل سنة أحج إلى بيت الله الحرام...

□ وأول مرة انتقلت فيها إلى بيت الله الحرام، ماذا طلبت؟

حكواتي أيام زمان



ـ أن يغفر لي كل ذنوبي، إذا ما كنت مذنبة، الغفران الكامل. لأن إيماني قادني إلى عرفات. وأنا من صغري كنت أحلم بالساعة التي أرى نفسي فيها في بيت الله. كنت أرى الرسول (صلعم) في المنام مراراً. والله... والله كنت «شوفو» على الأقل مرتين في الأسبوع. كنت أرى نفسي وأنا داخل بيت الله الحرام. ويوم ما ربنا أعطاني نعمة الذهاب إلى الحج، وأثناء تأدية فريضتي رأيت عجوزاً يرتدي الأبيض ناداني قائلاً: «تعالي يا نعيمة... اقتربي، ثم مسح لي وجهي بيديه ثلاث مرات وقبلني في جبهتي»، ثم أشار بيديه إلى أحدهم قائلاً: «اديها من مياه زمزم». وشربت من زمزم.

إن الرسول (صلعم) عمرو ما سابني، كلما تعقدت الأمور كان يظهر لي في المنام ويطمئنني بأن كل مشاكلي ستحل. وبالفعل كل مشاكلي كانت تحل بأسهل الطرق. وآخر مرة نجاني من الموت...

ويتتابع الحوار معها:

□ كيف؟

ـ في أيار (مايو) ١٩٧١ بينما كنت في المنزل أعد نفسي لصلاة المساء، إذ برصاصة تخترق كتفي ثم صدري فنقلت إلى المستشفى في

٨ بيروت

لماذا باعت الصالة لسعاد الشامية؟

حالة الخطر. شيء واحد ما زلت أتذكره: يومها عتبت على ربي، سبحانه وتعالى، إذ قلت له: هل يرضيك أن أموت دون أن أحقق حلم حياتي؟ دون أن أحج؟ وإذ بالمعجزة تحصل وأشفى. ومنذ ذلك الحين وأنا أحج كل سنة. وكل ما أنا عائشة سأذهب سنوياً إلى الحج، إلى أن يأخذ ربنا وديعته...

وتجيب نعيمة (المصرية) حسين على سؤال حول رحلتها في عالم الزواج فتقول:

ـ أنا متزوجة من شفيق قباني، الذي كان عريفاً في الدرك... واليوم هو متقاعد، وكنا قد تزوجنا منذ ٣٥ سنة (أجري الحديث معها عام ١٩٧٥) رزقنا خلالها بنتاً واحدة هي الخامسة بين أولادي...

□ والأربعة الباقون من أين أتوا؟

ـ من زوجي الأول محمد المغربي (ابنها الفنان سيد مغربي).

□ ومتى حضرت إلى لبنان؟

ـ من زمان. يومها كان عمري ١٤ سنة. أتيت مع زوجي محمد المغربي، الذي كان يدير فرقة تمثيلية. وكنت أنا بطلة الفرقة آنذاك. كنت غاويه تمثيل، أهرب إلى المسرح لحضور التمثيليات. وفي إحدى المرات حاولت أن ألفت نظر مدير الفرقة محمد المغربي، إذ تقدمت نحوه مستفسرة منه بعض الأمور عن مسرحيته فأعجب بي. كنت يومها حلوة، صغيرة وناعمة. وتوطدت الصداقة بيننا، فالحب والزواج وبعدها أصبحت بطلة كل مسرحياته.



□ وأين تعلمت فن التمثيل؟

ـ أنا أمية، لا أقرأ ولا أكتب.

□ وكيف كنت تحفظين أدوارك؟

ـ قبل البدء بالبروفات، كنت أطلب من زوجي محمد أن يخبرني مجمل فصول الرواية، ثم أتصرف بحيث أضع الحوار الذي أجده مناسباً. وكنت دائماً، والله، محط إعجاب الناس، لخفة ظلي وتمثيلي العظيم. الحمد لله وأخذت شهرة ما حدش أخدها»...

□ ويوم أتيت مع المغربي إلى لبنان ماذا كان غرضكما؟

ـ تأدية بعض الاستعراضات الهزلية. منها «سلفني مراتك». تعاقدنا

مع المرحوم أمين عطاالله، وكان الإقبال على حضورنا عظيماً في صالة الـ «كريستال».

□ وكم كان رسم الدخول؟

ـ البلكون خمسة وثلاثين قرشاً، والصالة خمسة عشر قرشاً.

وتتابع الحاجة نعيمة المصرية سرد ذكرياتها فتقول:

ـ كنا مطلوبين زوجي وأنا. الكل يريد أن نقدم استعراضات هزلية. حتى في حفلات أم كلثوم، كان الختام لنا... ففي ذلك الحين، كانت أم كلثوم تظهر بالقفطان الأسود، وكانت تضع العقال على رأسها. أما فرقتها فكانت مؤلفة من شقيقها ووالدها وأولاد عمها. كنا، أم كلثوم وأنا، نتقاسم غرفة الملابس. وفي إحدى المرات، وكنت حاملاً ابني سيد، اقتربت مني أم كلثوم ووضعت أذنها على بطني، ثم قالت: «يا حبيبتي... أهو الولد بيتحرك. خذي بالك يا نعيمة من نفسك. أهو ابنك بيضربني على ودني». لقد كان أبوها الشيخ إبراهيم رجلاً طيباً، وكانت أيام حلوة «آوي».

□ مسرحكم كان جوالاً، فما الذي أبقاك في لبنان؟

ـ مع بداية الحرب ١٩٣٩ وجدت أن الفن لا يطعم خبزاً، وأنني مسؤولة عن عائلة مؤلفة من أربعة أولاد. فاضطررت لاستثمار صالة أطلقت عليها اسم صالة نعيمة المصرية (بيت الفن). استأجرتها من أجل الجيش الفرنسي، ففي ذلك الوقت، كان كل ما أكسبه أدفعه على تربية أولادي. خصوصاً وأنني كنت مطلقة ومسؤولة ـ كما قلت ـ عن أربعة أولاد. بقيت بعدها مدة عزباء، إلى أن ربنا أكرمني بابن الحلال شفيق قباني، وتزوجنا. لكنني لم أترك الصالة، بل بقيت أدير شؤونها. فقد اشترطت على زوجي عدم التعرض لعملي، إذ قلت له: «ألا تثق بي؟» وبما أنه كان يعرف أنني متدينة، وأن إيماني وشرفي أغلى شيء أتمتع به فلم يعارضني، بل تركني مستمرة في إدارة «صالة نعيمة المصرية».

□ وزوجك محمد المغربي؟

ـ كان يكبرني كثيراً. بعدما طلقني، عاد إلى مصر. ويشهد الله بأن شفيقاً لم يفرق بين أولادي الأربعة وبين ابنتنا.

ميض الأواني النحاسية قبل أن يعرف اللبنانيون الفولاذ الذي لا يصدأ



٨ بيروت

من صاحبة «كاباريه» إلى «حاجة» مؤمنة

□ وكيف أصبح حال الصالة؟

ـ بعدما كبر الأولاد، منذ عشرين سنة، أجرت الصالة لإحدى الفنانات: سعاد الشامية بموجب عقد غير رسمي، خوفاً من أن يطير التعويض مني. كنت أدفع الضرائب ورسوم الماء والكهرباء، وأحاسبها على ذلك. كل شيء بقي مسجلاً باسمي، إلى أن أتاني زبون يريد شراء المحل فخيرت الشامية بين شرائه أو التخلي عنه، خصوصاً وأن استمرار الصالة مشهورة باسمي كان يمنعني من أداء فريضة الحج. وأكثر الأحيان كنت أبكي، ذلك أنني كنت أريد الخلاص من الصالة. أريد الذهاب إلى بيت الله الحرام، إلى أن ربنا سترها معنا، واشترت سعاد الشامية الصالة. لكن نقل الملكية أتعبني كثيراً. ففي المالية، واجهت إشكالات عديدة، لكن خليل بك سالم ومصطفى الهندي، ساعداني كثيراً في حل الإشكالات التي واجهتني.

ويمضي الحوار معها:

□ حدثينا عن الصالة وفنانيها؟

ـ كنت في بعض الأحيان استقدم الفنانات من مصر، لكن في الغالب كنا نتبادل الفنانات مع «الباريزيانا» و«مسرح فاروق» و«صالة منصور».

□ ومَنْ مِنَ المشهورات عملن في صالتك؟

ـ مش فاكرة، كثيرات وكثيرون مروا عبر صالتي. لكن بهية أمير وفتحية أحمد ضربتا الرقم القياسي في جلب الزبائن.

□ كم كانت الفنانة تتقاضى شهرياً؟

ـ بعضهن كن يتقاضين مئة وخمسين ليرة وأخريات حوالى ثلاثمائة ليرة. كما كن يتقاضين عمولة عن كل ما يدفعه الزبون.

□ وكيف كانت علاقة الفنانات بالصالة؟

ـ علاقة عمل ونظام وانضباط، المهم الأخلاق. كنا نعتمد عالأخلاق. يومها كانت الصالة زي النار للمستوى الرفيع وللسمعة التي كانت تتمتع بها، حتى الفنانات لم يكن مثل اليوم. الفنانة كانت تعمل سنوات دون أن يستطيع أي زبون أن يلمسها، أو حتى يقبل يدها... أما اليوم فهن شكل تاني...

الحاجة نعيمة حسين...



بيروت في البال

□ أي صالة كانت تستقطب أكبر عدد من رواد الليل؟

ـ طبعاً، النظام والأدب اللذان كانا مسيطران على صالتي جعلاها في الطليعة وكانت أشهر من أن تعرف.

□ وهل أنت نادمة لأنك بعت صالتك؟

ـ لا، أبداً... لكن الذي يزعجني أنه حتى الآن ما زال اسم الصالة يجلب لي بعض المتاعب. فكل يوم «أقرأ» «مانشيت» في الصحف: «قتيل في صالة نعيمة المصرية»، «خناقة في صالة نعيمة مع العلم أنني تركت العمل فيها منذ حوالى عشرين عاماً. كل يوم أصلّي وأتضرع لربي: «يا رب سامحني إذا كنت قد أتيت منكراً»...

□ ومَنْ مِنَ الشخصيات اللبنانية والعربية كانت ترتاد صالتك؟

ـ كان لصالتي سمعة جيدة فكل أقرباء الرئيس صبري حمادة ورجاله كانوا يحضرون إليها، كذلك النائب السابق، «مش فاكره اسمه»... من آل دندش، وأولاد ملحم قاسم كانوا يحضرون متخفين... كذلك الدكتور سوبره وعمر طيارة. كما أن الرئيس المرحوم رياض الصلح كان يرسل أنصاره للاطمئنان على صحتي وعلى انتظام العمل في الصالة، وإن سعد العرب، مرافق رياض بك كان يحضر يومياً إلى صالتي. ولا أنسى أنني كنت ألعب مع سامي الصلح بطاولة الزهر في مقهى الشرق. والخلاصة أن كل قبضايات البلد كانوا يطلبون رضاي. وكل أصحاب الصالات كانوا يخافون هؤلاء القبضايات إلاّ أنا. لكن يشهد الله أنني كنت أراعيهم بالأسعار...

بائع الفستق السوداني



□ وممن كنت تربحين؟

ـ من الزبائن الأجانب. فكل حكومة الانتداب كان أعضاؤها يحضرون إلى صالتي. بعد فرنسا جاء الإنكليز إلى لبنان فلم يتغير عليّ شيء. كانوا ينادوني باسم «مدام مادلين».

□ ولماذا كانوا ينادونك «مدام مادلين»؟

ـ مرة شرح لي أحد الضباط بأن اسم نعيمة معناه بالفرنساوي مادلين. واسم الدلع كان «مادو». وكان كلما رآني الرئيس بتاعهم يصرخ: «هالو مادو... أنت عظيمة يا مادو»...

٩ بيروت

لم يدخل السجن الا ثلاث مرات!

«أبو عبد» ... دق الجرس ودخل الناس لأول مرة الى السينما

عمل في سينما «زهرة سوريا» كبائع كازوز وشوكولا ليتفرج على الأفلام مجاناً

لم يتعلم في مدرسة وإنما الحياة علمته أنه يجب على المرء أن يحكي مع كل إنسان بلغته

حقق أول فيلم لبناني روائي عرض في سينما «رويال» الى جانب فيلم أميركي صغير

ـ أبو عبد، بدي ثلاث سواكير...

هكذا بدأ الزميل وليد شميط تحقيقه عن أبو عبد الجرس الذي نشر في نيسان (أبريل) عام ١٩٧١، وهكذا تابع الحديث:

ـ ما عندي فلت... ما بيع فلت...

ـ يا عمي شو بدي بهالشغلة، حتى الريجي تجي تقول إني عم بيع دخان تهريب؟ أنا ما بحب المشاكل. بفوت عالمخفر، ما حدا يعرفك، ما يعرفوا مين أنت؟ مين بيك، مين ولادك. أنا بحياتي كلها ما فايت عالسجن إلاّ ثلاث مرات...

ويمضي وليد شميط في تحقيقه عن أبو عبد الجرس قائلاً:

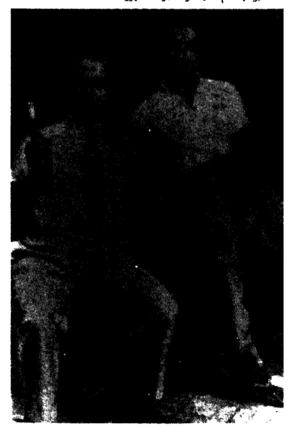
إنه أول ممثل سينمائي في لبنان، رشيد علي شعبان (٧١ سنة) الملقب بـ «أبو عبد الجرس»، يمضي اليوم معظم ساعات النهار والليل في بيع السجائر والمشروبات في دكان صغير يقع على زاوية زاروب متفرع من شارع المتنبي، بالقرب من ساحة الشهداء...

ويقول أبو عبد الجرس:

ـ مرة جاءني دركي وأراد أن يكتب محضر ضبط لأني لم أرتد البرنس الأبيض... كأني أنا فاتح دكان سوق الفرنج وعم بيع لحمة. الله يساعد الفقير يا خواجة. على كل حال المثل بيقول أبعد عن الشر وغني له...

قلائل هم الذين يعرفون «أبو عبد»، فالرجل الذي ارتبط اسمه

أبو عبد أمام السينما ومعه جرسه المشهور...



بيروت في البال

بالسينما اللبنانية، ومثّل وأنتج أول فيلم لبناني يوم كانت الأفلام «أعجوبة» يتراكض الناس إلى حل لغزها، وأعطى السينما سنوات شبابه في الدعاية للأفلام ولصق الإعلانات والدق على جرسه المشهور...

منذ ٦٢ سنة، دخل رشيد علي شعبان سينما «زهرة سوريا» في ساحة الشهداء التي تحولت بعدئذٍ إلى ملهى «الباريزيانا»، وصار ينادي على الكازوز والشوكولاته. لم يفعل ذلك بحثاً عن العمل فقط، وهو ابن شيخ عتالة ميسور الحال، وإنما حتى يتفرج على الأفلام مجاناً، ثم يروي لأولاد الحي ما يشاهده على الشاشة العجيبة. وتعرف أبو عبد، منذ كان في التاسعة من عمره على فن الأخوين لوميير دون أن يسمع بهما. وبقي في بيع الكازوز في سينما «زهرة سوريا» لغاية عام ١٩١٩، عندما بدأت علاقته بالجرس الذي أضيف إلى لقبه نظراً إلى متانة العلاقة بينهما. ففي ذلك العام أخذ أبو عبد جرساً صغيراً يحتفظ به لغاية اليوم، وترك الكازوز والشوكولاته، وصار ينادي على الأفلام ويدق الجرس ليلفت انتباه الناس إلى سينما «الديك» التي كانت تعرض أفلاماً فرنسية قصيرة مستوردة من شركة «باتيه».

وكان ينادي:

ـ أحسن ليلة الليلة، أقوى أفلام المغامرات والبطولة والحب لا تدعوا الفرصة تفوتكم. وإلى جانب سينما «الديك» كانت توجد في بيروت في ذلك الوقت ثلاث صالات فقط هي «كوزموغراف»، «زهرة سوريا» و«شوديغر». وكانت هذه تفتح أبوابها ثلاث مرات في الأسبوع: يوم الخميس للطلاب، والسبت للنساء، والأحد للعموم، وتبيع بطاقة الدخول بخمسة قروش (صالة) وعشرة قروش (بلكون) ونصف ليرة (لوج لأربعة أشخاص)، وتعرض أيضاً أفلام المغامرات والبطولة والحب...

ويمضي أبو عبد في حديثه:

ـ شارلي شابلن أعظم ممثل في التاريخ. إنه كامل في كل شيء. أفلامه كانت أنجح الأفلام عند الجمهور وأحبها إلى الناس. هل تعرف ماذا كان يفعل؟ كان عندما ينتهي من تمثيل أي فيلم يعرضه على الأطفال والأولاد فإذا ضحك هؤلاء كان يعرض الفيلم على الجمهور.

بائعة اليانصيب، ضاعت البائعة وبقي اليانصيب



٩ بيروت

من بائع «الكازوز» الى حامل الجرس

وإذا لم يضحك الأطفال كان يرمي الفيلم. الأولاد أحسن جمهور للممثل...

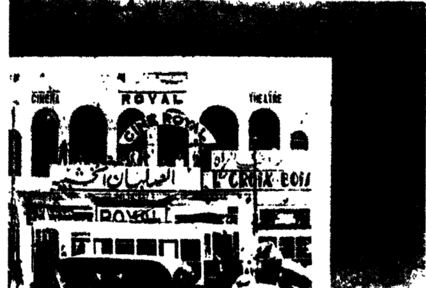
ويقف أبو عبد ليلبي طلب أحد الزبائن. أكثر من ستين عاماً من العمل المتواصل والإرهاق والتشرد لم تُتعب أبو عبد. لا يزال يعمل ما لا يقل عن ١٥ ساعة يومياً، ليس حباً بالدراهم وإنما خوفاً من الحاجة إلى الدراهم...

صحته جيدة، وإن كان يعاني من بعض الألم في قدميه، ويقول إنه «يرى القرش على بعد ثلاثمائة متر». مع الزبائن، علاقة أبو عبد علاقة صداقة. سيان عنده إذا كان يعرفهم من قبل أو لا يعرفهم. في المدرسة لم يدرس. علمته الحياة. ومن الحياة تعلم أنه يجب على المرء أن يحكي مع كل إنسان بلغته:

«في هذا الشارع رأيت العجائب. تعرفت هنا على كل أصناف البشر من أكبر خواجة إلى أكبر أزعر. الحياة أهم من السينما. في السينما يفبركون القصص. في الحياة الناس تعيش القصص».

ويعود «أبو عبد» إلى الحديث عن ذكريات الماضي. يتحدث بشغف من يحب الحديث والكلام، ومن يستمتع باستعادة الذكريات القديمة، خصوصاً إذا كان في هذه الذكريات تفاصيل أول مغامرة سينمائية في لبنان...

واجهة سينما «رويال» عام ١٩٣٠



يقول أبو عبد:

ـ سنة ١٩٢٢، وكنت يومها في عزّ الشباب، لفت نظري بعض الضباط الفرنسيين وهم يصدرون أفلاماً وثائقية عن بيروت، وكانوا يعرضون هذه الأفلام وغيرها في سينما صغيرة تقع قرب المرفأ. ولأني حشري، وأحب أن أعرف كل شيء وأجرب كل شيء، صرت أحاول أن أظهر في هذه الأفلام بأية طريقة. وخطرت لي فكرة: أن أصور فيلماً صغيراً أظهر فيه أنا وحدي ولا أحد غيري، ولكن كيف؟ صدف أن تعرفت إلى غوردانو بيدوني، وهو

بيروت في البال

إيطالي كان يعمل سائقاً عند عائلة سرسق، فأخبرته برغبتي. فقال لي: إنه على استعداد لأن يصورني. وكان بيدوني يملك كاميرا صغيرة تدار باليد جاء بها من إيطاليا. واتفقنا على أن أعطيه عشرين ليرة ويصور لي الفيلم فصورني على الرصيف، أمام السينما، إلى جانب كلمة «استراحة» حتى أتمكن من عرض الفيلم في الصالة. إذ كيف تريدهم أن يعرضوا صورتي هكذا بلا مبرر. وأعجبت الفكرة صاحب الصالة فأعطاني خمسين ليرة. وصار أصدقائي ومعارفي، في كل مرة يأتي وقت الاستراحة، وأظهر أنا على الشاشة، يصفقون ويصرخون متحمسين فزادني ذلك شغفاً بالسينما...

بعد فيلم «الاستراحة» ذاعت شهرة أبو عبد وصار «نجماً» وصار جمهور سينما «الديك» قبل الدخول إلى الصالة ورؤيته على الشاشة يتفرس به جيداً وهو يدق جرسه معلناً عن بدء الحفلة وداعياً الناس إلى مشاهدة «فيلم المغامرات والبطولة والحب». وكان أبو عبد يستمتع بهذه الشهرة التي لم تكلفه شيئاً، بل على العكس مكنته من الحصول على ثلاثين ليرة «إكرامية» يوم كانت «الليرة تحكي».

وكان بالإمكان أن تنتهي مغامرة أبو عبد مع السينما عند هذا الحد، لولا أن صاحب مطعم جديد آنذاك أراد أن يعلن عن مطعمه على الشاشة بعدما تأكد من نجاح فكرة فيلم «الاستراحة» فعرض على أبو عبد أن يعمل له فيلماً دعائياً عن مطعمه مقابل ٧٠ ليرة على أن يقوم ببطولته أبو عبد نفسه. فراقت الفكرة لرشيد علي شعبان، وكلف غوردانو بيدوني تصوير الفيلم في المطعم، وكان ذلك أيضاً مناسبة لعرض أول فيلم إعلاني في لبنان. عرف بعده أبو عبد «البحبوحة» وصار معه مبلغ من المال يكفيه ليفكر بمشروع أكثر طموحاً وأبعد مدى...

ويقول أبو عبد:

ـ في البدء خطرت لي فكرة تصوير مشاهد عامة عن بيروت ولبنان. وصدف أن السباح سليم فاخوري أعلن أنه سيقفز من أعلى صخرة في «الروشة». وكان ذلك حدثاً كبيراً في تلك الأيام وسبباً لتجمهر الناس. فاتفقت أنا وبيدوني على تصوير القفزة وسباق

مركز الشرطة في ساحة البرج عند مدخل شارع المتنبي



٩ بيروت

ومن حامل الجرس الى ممثل سينمائي

للسباحة وبعض مشاهد «الروشة». وأثناءها صارت الناس تتجمهر حولنا بحيث إننا صرنا حدثاً أكبر وأهم من قفزة سليم الفاخوري.

عندما شئنا الوقوف مع مزيد من التفاصيل وعلى أسماء الذين ساهموا بالفيلم وكتبوا قصته ومثلوا فيه، ضحك أبو عبد طويلاً، ثم استوى في مقعده وقال: «أنا كنت الكل بالكل». أيام زمان ما كان في منتج ولا مخرج ولا كاتب سيناريو، كنت أقول لغوردانو أن يصورني في مكان معين فيفعل. أما بالنسبة إلى الممثلين لم يكلفوني شيئاً إذ إن الناس كان «بدهن إيش وإيش» حتى يظهروا بالسينما. صار الناس يترجوني حتى أسمح أن يتصوروا معي. كانوا يذهبون إلى البيت عندي ويدفعون لي دراهم. وأذكر أن سيدة جميلة وضعت لي الفلوس بظرف مقفل كدفعة على الحساب حتى تظهر في الفيلم. قبل عرض الفيلم كنت أسترجع ثمنه وأربح...

وعند عرض الفيلم، وكان صامتاً مع «إنتراكت» لشرح كل لقطة منه خطياً على زاوية الصورة، وطوله خمس عشرة دقيقة عرف نجاحاً كبيراً و«نافس» فيه أبو عبد الأفلام الفرنسية والأميركية. وهذا ما دفعه إلى الاستمرار في المغامرة. وأدى به التفكير بهذا الأمر إلى ابتكار طريقة فريدة في المونتاج السينمائي دون أن يقرأ كتب ايزنشتين ونظرياته في المونتاج، فكر أبو عبد باقتطاع مشاهد مختلفة من عدة أفلام تمّ تركيبها بتسلسل يؤدي إلى معنى جديد. وبهذه الطريقة تمكن من تحقيق فيلم «مغامرات أبو عبد بين مجاهل إفريقيا وشوارع بيروت»، ومن تضمينه مشاهد في الأدغال الإفريقية تظهر فيها أفعى كبيرة لا وجود لها في لبنان. كيف تم ذلك؟

بائع السجائر اغفاءة بعد عناء السهر!



يقول أبو عبد:

ـ بعد نجاح الفيلم فكرت أن أعمل قصة جديدة وأضيف عليها مشاهد «الروشة». خطر لي أن ألعب دور مغترب إفريقي يأتي إلى لبنان مع أولاده

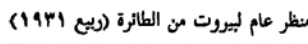
بيروت في البال

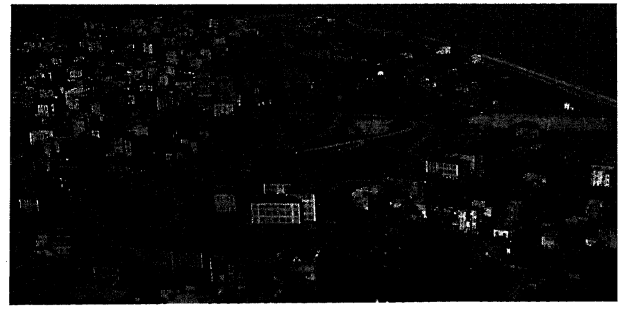
فيصادف مفارقات ومشاكل عديدة منها إنقاذ أولاده من أفعى سامة كانت تتربص بهم. وشئت أن أضمن الفيلم أيضاً مشاهد لأدغال إفريقيا وحيواناتها. وطبعاً لم يكن ممكناً أن نذهب إلى إفريقيا ونصور هناك فجمعت بعض اللقطات من فيلم «لومبو» الأميركي الذي صور في الأدغال، ثم تصورت أنا وأولادي في باخرة على المرفأ. وبعد ذلك ذهبت أنا وغوردانو بيدوني وأولادي إلى حرج بالقرب من نهر الكلب وهناك صورنا مشاهد مكملة للفيلم، وهي المشاهد التي أبحث فيها أنا عن أولادي الضائعين، إلى أن أجدهم داخل مغارة...

بعد تركيب المشاهد المصورة في لبنان والمشاهد المأخوذة عن أفلام أجنبية، تمت القصة، وبدا أبو عبد مغترباً في زيارة إلى بلده وظهر كأنه يقتل الأفعى في المغارة وينقذ أولاده منها. وامتد طول الفيلم من خمس عشرة دقيقة إلى خمس وأربعين دقيقة. وتمت، هكذا، ولادة أول فيلم لبناني. وعرض الفيلم لأول مرة في سينما «رويال» إلى جانب فيلم أميركي صغير...

ويقول أبو عبد:

ـ توسلت الحكومة. صرت أوزع البطاقات على كبار المسؤولين والموظفين وأطلب منهم تشجيع أول فيلم لبناني. ونظمت إلى جانب


منظر عام لبيروت من الطائرة (ربيع ١٩٣١)



٩ بيروت

وظهر أبو عبد وكأنه يقتل الأفعى

وأذكر أنني رفعت سعر البطاقة إلى خمسة وعشرين قرشاً مما جعل جمهور الفيلم يرفع صوته بالصراخ والضجيج، وخرج في شبه تظاهرة. أنا طبعاً كنت نجم الحفلة، تلك أيام لا أنساها أبداً...

ويستطرد أبو عبد قائلاً:

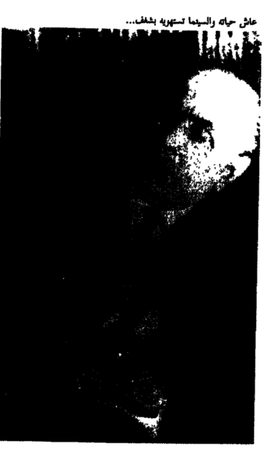
ـ وهذا الفيلم موجود حالياً في غرفة صغيرة بالقرب من دكاني، بين عدد من الأشرطة الوثائقية التي جمعتها خلال سنوات العمل في السينما. لا يوجد في لبنان مكتبة سينمائية (سينماتيك) ولهذا يفكر المسؤولون في المركز الوطني للسينما بالحصول على نسخة من الفيلم للاحتفاظ بها... وأنا على استعداد لبيع الأفلام التي أملكها، وبعضها له قيمة وثائقية كبيرة. عندي أفلام عن بيروت القديمة وعن ساحة الشهداء سنة ١٩٣٠، وأفلام عن الرئيسين بشارة الخوري ورياض الصلح، وعن الملك حسين ووالده الملك عبدالله. الأمن العام حجز عدداً من أفلامي بحجة أن العلم الفرنسي، أيام الانتداب، يظهر فيها. لا أرى مبرراً لهذا التصرف، فهل نحن نخجل من تاريخنا؟ قيل لي إنهم سيفرجون عن هذه الأفلام، أتمنى ذلك...

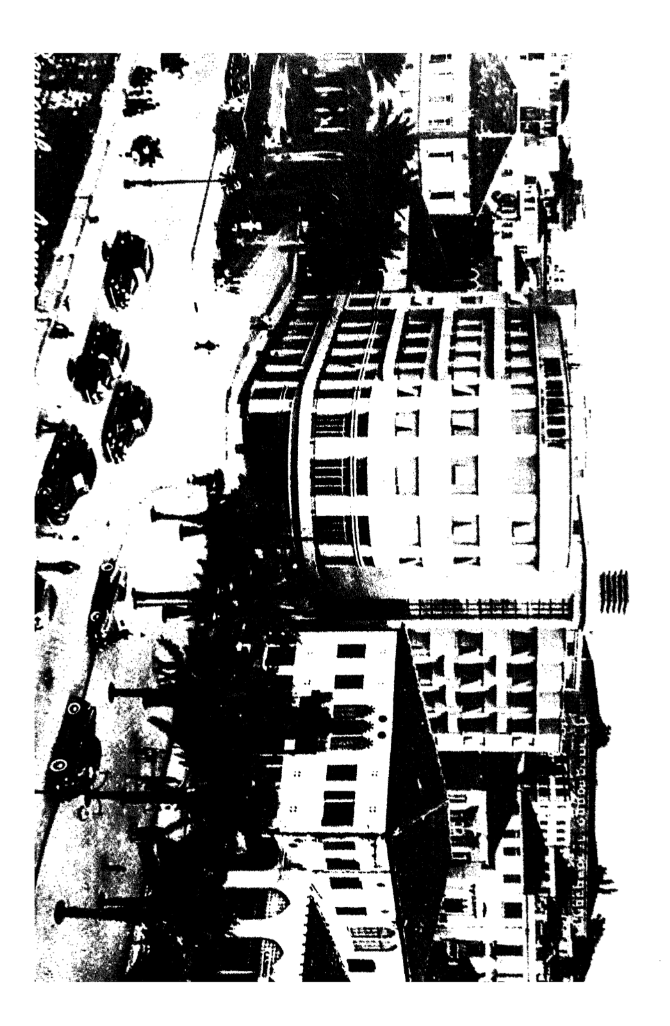
بعد «مغامرات أبو عبد» مثل رشيد علي شعبان في فيلم «مغامرات إلياس مبروك» (١٩٢٦)، وفي فيلم «الورد جميل» لعلي العريس (١٩٤١) كما أنه قام ببطولة فيلم إعلاني لليانصيب الوطني.

وصار أبو عبد بعد ذلك يضمن حفلات لفنانين لبنانيين ومصريين ويحيي أيام الأعياد التي كانت تقام في ساحة رياض الصلح ثم في منطقة الحرج. وترك التمثيل والعمل في السينما بسبب قرش واحد. وحكاية «القرش» يذكرها أبو عبد بتفاصيلها. فقد كان يومها لا يزال يبيع تذاكر الدخول إلى سينما «رويال»، وكان سعر البطاقة خمسة عشر قرشاً، أضافت إليه المالية قرشاً واحداً فصار ستة عشر فجاءه زبون وطلب منه بطاقة. وعندها قال له أبو عبد إن سعرها ستة عشر قرشاً، اعترض على ذلك، «شتمني» فضربته... أولاد «الحلال» أخبروا الخواجة بالقصة وقالوا له إن أبو عبد تسبب بمشكلة كبيرة في السينما، وضخموا له الحكاية، فجاء الخواجة، صاحب السينما وشتمني وضربني أمام الناس، فقمت أنا بدوري وضربته بجارور الدراهم وتركت السينما...

بعد تلك الحادثة صار أبو عبد يسافر إلى فلسطين ويأخذ معه أفلاماً ليعرضها هناك، وعند عودته إلى لبنان كان يأتي ببضاعة ليبيعها في بيروت. وعندما بدأت الحرب في فلسطين، اشترى أبو عبد دكان السجائر...

عاش حياته والسينما تستهويه بشغف...





١٠ بيروت

علي بيضون مع أبو خليل البيروتي

عمل ممثل «كومبارس» في مسرح «فاروق»

سمي المسرح بـ «فاروق» تيمناً باسم الملك ومع قيام الثورة المصرية سمي بـ «التحرير»

كان يرتاد المسرح ضباط الشرطة وكبار الصحافيين والسياسيين

خسر محمد عبد المطلب في سباق الخيل فندب حظه أمام الجمهور

تقلب في مدارس عديدة بلغت التسع مدارس منها مدرسة «دير مشموشة»، «الحكمة» و«العاملية»، وكانت آخر مدرسة تلقى العلم فيها حتى الصف الثالث ابتدائي هي مدرسة «حوض الولاية»...

أحب علي بيضون الفن منذ طفولته، وتشرد من البيت وهو في الثالثة عشرة من عمره (من مواليد ١٩٤٠) وعمل في «مسرح فاروق» مع سعد الدين بقدونس وشحادة منصور الملقب بأبي خليل البيروتي، وكانت أول مسرحية مثّل فيها هي «ليلة في النظارة» إذ لعب دور «كومبارس» فكان من ضمن حاشية الملك...

ويتحدث علي بيضون عن «مسرح فاروق» فيقول:

ـ كان اسم المسرح «كاريون» أيام علي وآمال العريس، وكانا يقدمان مسرحياتهما على خشبته وكان المسرح يستضيف «كش كش» (أمين عطاالله) كما وعملت على خشبته أمينة رزق وماري منيب وحسن فايق وغيرهم.

وفي أواخر الأربعينات اشترى عفيف كريدية المسرح وأعطاه اسم «مسرح فاروق» تيمناً بالملك فاروق. وكان يقدم فصلاً مسرحياً وفصلاً غنائياً، وكان يمثل على خشبته عبد اللطيف فتحي، وسعد الدين بقدونس وأبو خليل البيروتي فيقدمون مسرحيات خاصة بهم، أما من المطربين فلقد عمل فيه كارم محمود، محمد عبد المطلب، ثريا حلمي، نورهان، نجاح سلام، فايزة أحمد، محمد سلمان، محمد مرعي، محمود شكوكو، إسماعيل ياسين. ومن الراقصات لولا عبده، هاجر حمدي، الراقصة كيتي، اعتدال شاهين ونبوية حسن وغيرهن. كما عمل على خشبته

علي بيضون وذكريات حافلة...



بيروت في البال

حسين رياض وأحمد شفيق وفريال كريم وزوجها محمد كريم وسيد مغربي نجل «نعيمة المصرية» الذي كوّن وقتذاك فرقة مسرحية بالإضافة إلى شيطان المسرح حسن المليجي. ومع قيام الثورة المصرية استبدل اسم المسرح من «فاروق» إلى «التحرير»...

ولم يكن مسرح «فاروق» أو «التحرير» هو ما يملكه عفيف كريدية فقط، بل كان يملك عدة ملاهٍ ليلية أيضاً كـ «الأوبرج» و«سان جيمس» و«سان ريمون» وكان مستثمراً عدة ملاهٍ ليلية وحاكماً بأمره وكنت أنا تلميذه...

□ وماذا هناك من مزيد عن هذا المسرح؟

ـ كان مسرح «فاروق» عبارة عن معهد فني كبير. كنت تدخل إليه ـ وهو مقابل سوق الصاغة ـ ولقد كان مدخله عبارة عن ثلاثة أمتار طولاً وثلاثة أمتار عرضاً في الطابق الثاني من البناء، ويحتوي على صالة للمسرحيات والمطربين تضم تسعمائة كرسي هذا بالإضافة إلى طابق آخر يدعى بلكون، أما عدد «الألواج» فكانت واحد وعشرين «لوجاً»، وكان ثمن تذكرة الدخول ليرة واحدة للصالة وليرة ونصف الليرة، وكان هناك حفلتان من السادسة إلى التاسعة ومن التاسعة حتى الثانية عشرة. كما كان يضم صالة للألعاب وأخرى للمجالسة.

ويفرض السؤال نفسه:

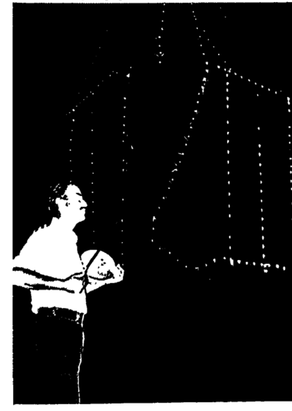
□ وماذا عن عفيف كريدية؟

ـ كان في ذلك الوقت في الثلاثينات من عمره، وكان يلقب بـ «ملك الليل» وله ثلاثة أخوة هم عبد الكريم كريدية الملقب بـ «الآغا» وزكريا الملقب بـ «الباش» وسامي... والأخوة الثلاثة ما زالوا أحياء في حين أن عفيف كريدية قضى قبل سنوات، أما أبو عفيف كريدية فقد كان نديم رؤساء الجمهورية في لبنان كالشيخ بشارة الخوري ورؤساء الوزراء أمثال رياض وسامي الصلح وصائب سلام...

□ ولماذا اتجه عفيف إلى المسرح؟

ـ أخذ الفكرة من عمه عبد القادر كريدية صاحب سينما «كريستال» التي كانت تجاور المسرح، وكان عفيف موظفاً في بلدية بيروت وعندما امتلك المسرح قدم استقالته...

المسحراتي في ماضي بيروت وحاضرها!



١٠ بيروت

عفيف كريدية كان «ملك» الليل

ويتوقف علي بيضون قليلاً عن الحديث ثم يتابع القول:

ـ كان عفيف طيّب القلب، وكان يدار بكلمة لكثرة «المرتزقة» الذين كانوا يلتفون حوله... كان صاحب أمبراطورية الليل في لبنان لدرجة أن وديع الصافي وعبد الغني السيد وعبد العزيز محمود كانوا ينتظرونه ثلاثة أو أربعة أيام ليلتقيهم. كان مزاجياً مغرماً بتدخين النارجيلة هو وأصدقاؤه أمثال رامز المقدم صاحب جريدة «النضال» وحسن اللاذقي الذي كان مستشاره وصديقه الحميم وعفيف الطيبي ومحيي الدين الخضري، كما كانت له صداقات مع عدد من موظفي مديرية الأمن العام اللبناني أمثال المقدم عمر النويري، والمفوض العام محمد مطر رئيس مكتب الآداب، ومحيي الدين حماده رئيس المباحث والشيخ عارف القاضي رئيس مخفر البرج والمفوض محمد شهاب الدين رئيس قسم القمار. كما كانت تربطه علاقات الود مع عدد من الصحافيين أمثال سعيد فريحة وسليم اللوزي ومحمد بديع سربيه والنقيب ملحم كرم.

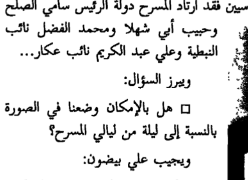
وكان عفيف باختصار «يطلّع كل يوم ضابط»، وكان يستمد هذه الإمكانية من أهمية والده محمد كريدية المعروف بـ «أبي عفيف»، أما بالنسبة إلى المسرح فلقد كانت تربطه صداقات مع جميع الفنانين.

□ ومَن من الشخصيات كان يرتاد المسرح؟

ـ جميع كبار ضباط الشرطة وكبار الصحافيين اللبنانيين ورجال الأعمال، أما من السياسيين فقد ارتاد المسرح دولة الرئيس سامي الصلح

... يوم كانت «النارجيلة» تحتل مكان الصدارة في المسرح...





وحبيب أبي شهلا ومحمد الفضل نائب النبطية وعلي عبد الكريم نائب عكار...

ويبرز السؤال:

□ هل بالإمكان وضعنا في الصورة بالنسبة إلى ليلة من ليالي المسرح؟

ويجيب علي بيضون:

ـ كان يقدم الحفلة محمد الدوكش الملقب بـ «زقزوق البيروتي» وأحياناً عمر الفنكري الممثل المصري وكان مدير المسرح وقتذاك أحمد النمير ومهندس الديكور والإضاءة حسن فاعور. وكانت المسرحيات

بيروت في البال

تستغرق من الزمن ساعة ونصف الساعة، وكذلك برنامج الغناء.

□ وماذا عن نشاطك الفني؟

ـ كنت أعمل كممثل مع جميع أصحاب الفرق المسرحية، وكنت ألعب دور ماسح الأحذية مثلاً أو دور النشال، وكلها أدوار بسيطة لا تغني عن جوع... كما وعملت في السينما مع جورج قاعي واشتركت في فيلم «السم الأبيض» وكان الدور الذي أسند إليّ دور مساعد رئيس العصابة. كما مثلت مع السيدة نور الهدى وحسين صدقي في فيلم «جبال لبنان» إخراج محمود ذوالفقار و«اللحن الأول» مع نجاح سلام ومحمد سلمان وكان آخر فيلم مثلته مع جاك سرناس الممثل العالمي ولقد صور الفيلم في بيروت وبعلبك وجبيل وصيدا وصور...

□ وكيف كانت حياة الممثل في ذاك الوقت؟



الجلخ... مهنة على طريق الانقراض

ـ كانت حياته بائسة وهذا ما جعلني أتجه إلى الأسطوانات وأفتتح أول محل في عاليه، حيث انطلقت في عالم الأسطوانة وأنتجت مع كبار الملحنين في مصر ولبنان عدة أعمال بأصوات المطربين والمطربات كفايزة أحمد في أول لحن لها من محمد سلطان «الأيام» ونجاة مع الرحبانيين في «دوارين في الشوارع»...

□ وكيف كان الليل في بيروت في ذاك الوقت؟

ـ كانت بيروت عبارة عن ساحة البرج، وكان البيروتي الأصيل، يجد متعته في ارتياد مرافق السهر ك «الباريزيانا» و«مسرح فاروق» و«نادي الشرق»، كانت بيروت لا تنام ليل نهار، يضاف إليها ملاهي الزيتونة التي هي لاس فيغاس لبنان ك «الليدو» و«الكيت كات» ومع طبيعة توسع الملاهي وامتدادها إلى الروشة بنى فريد الأطرش ملهى ليلي يحمل اسمه وافتتحت بدوري بالتعاون مع عصام رجي نادي عصام.

□ هذا عن الليل فماذا عن النهار؟

ـ كانت ساحة البرج في النهار جنة الله على الأرض بقطاراتها (الترومواي) ودور السينما فيها و«عجقتها»... كانت شريان القلب بالنسبة إلى بيروت، وكانت «تاكسياتها» توصل الناس إلى جميع

المناطق دون تمييز بين طائفة وطائفة أخرى. وكانت تظهر الوحدة الوطنية بأحلى صورها...

ويتفرع الحديث إلى محطة جديدة:

□ وماذا عن حكايات مسرح «فاروق»؟

ـ كانت هناك مسرحية من بطولة شحادة منصور الملقب بـ «أبي خليل البيروتي» والممثل الكبير صلاح العمري، وكان يفرض المشهد أن يصفع صلاح شحادة... ولكن الصفعة جاءت قوية فضربه شحادة وانقسم الجمهور إلى قسمين وجاء رجال الشرطة «لفض المشكل» ولكن الجمهور تقاذف الكراسي وتحطمت الصالة...

ويستجمع علي بيضون ذكرياته قائلاً:

ـ كذلك أذكر أن المطرب محمد عبد المطلب الملقب بـ «أبو النور» وكان يعاقر الخمرة ليل نهار خسر بسباق الخيل، وكان يغني وفجأة قال: «الحصان ده لعبته بمئة ليرة ولكنه خسر... «أونطة» سباق بيروت» فصرخ المدير محمود النمير هذا مسرح، مش سباق خيل وقامت مشادة بينهما مما جعل «الزعيم» عفيف كريدية يستدعيهما إلى الإدارة لإصلاح ما بينهما... ونشر النبأ وقتذاك في مجلة «دنيا الكواكب» لصاحبها محيي الدين الخضري و«السينما والعجائب» لصاحبها حبيب مجاعص.


سيما الكريستال من الداخل

وعلى ما يبدو فإن ذاكرة علي بيضون قوية، وهو يحتفظ بالعديد العديد من الحكايات فينسج كلامه على هذا المنوال:

ـ مرة كنت أعمل في مسرحية أسند فيها إليّ دور وزير فالمفروض كما تقول المسرحية أن ملكاً خلع بانقلاب وجاء ابنه ليشكل الوزارة، واخترت أنا لمنصب وزير العدل فناداني الملك ليتعرف إليّ كوزير فقال لي: «حضرتك أي وزارة أسندت إليك؟» قلت: «يا مولاي معي وزارة العدل

بيروت في البال

والقرطاس» قال الملك: «العدل فهمناها ولكن ماذا عن القرطاس؟» قلت وحبكت النكتة معي: «القرطاس زي الإجاص»!

أذكر أيضاً أن تحية كاريوكا وعبد الغني السيد عملا في «مسرح فاروق» فكان عبد الغني يغني وتحية ترقص... وأذكر أن تحية اختلفت مع عبد الغني فنادت مدير المسرح وقالت: «أريد السيد عفيف كريدية» فجاء عفيف وما أن ظهر حتى قالت تحية: «غيرلي المطرب اللي معايا»، وهنا أجابها عبد الغني: «ليه يا مدام، هو أنا بنطلون والا فستان عشان تغيريه؟».

وأذكر أيضاً وأيضاً أنه في إحدى مسرحيات محمود شكوكو، وكان يشترك فيها الممثل عمر الفنكري، وكان متفقاً أن يقبض ليرة عن كل صفعة ينالها كما تنص المسرحية، وصادف أن اندمج شكوكو بالدور فصفعه بقوة، وأجاب الفنكري: «الصفعة دي «دوبل»»...



بائع المسابح والعاديات القديمة يبسط أمام قارعة الطريق

وحدث أن اختلف ذات يوم حسن فايق صاحب الضحكة الشهيرة وأبو خليل البيروتي، ومعروف عن أبو خليل أنه لا يصعد إلى خشبة المسرح إلاّ بعد أن يشرب ثلاث زجاجات عرق. وفي أحد المواقف «علقت» الضحكة مع حسن فايق، وكان أبو خليل قد شرب زيادة فقال له: «ولو أنت ممثل والا ديك والا دجاجة...» وأجاب حسن فايق وهو يشير إلى أبي خليل: «أحسن ما كون حمار...» وأقفلت الستارة، وقامت معركة فتدخل النمير لفض المشكل بصفته مدير المسرح...

ويتوقف علي بيضون عن الكلام ثم يقول:

ـ حكايات «مسرح فاروق» كحكايات الأفاعي لا تنتهي ففي إحدى المرات، وكان محمد سلمان يغني «يا ست قديش الساعة» وحول وسطه مسدس باعتباره تزوج من نجاح سلام «خطيفة» وكان يحمل المسدس خشية المفاجآت... وصدف أن ضحك اثنان: قاسم حمية وعبد حديد فسحب سلمان المسدس مما اقتضى تدخل الشرطة حيث اقتادوه إلى مخفر البرج وأوقف اثنتي عشرة ساعة كان عفيف كريدية خلالها قد حصل على رخصة تتيح له حمل المسدس وعندها أفرج عنه...

١١ بيروت

أبو عبد البيروتي وضع سيارة على المسرح

ارتدى «القمباز» فساعد على رواجه

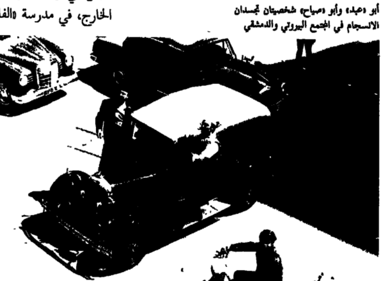
جسّد حكايات القبضايات في برنامج تلفزيوني حمل اسمه

مرت محتاجة من أمام أحد القبضايات فأعطاها ساعته الذهبية

كان الحجاب نافذة النظر عند النساء وملاية النفخ موضة الستات

يعتبر «أبو عبد البيروتي» - وهو من مواليد بيروت العام ١٩٢٤ - بمثابة «ألبوم» الماضي لشخصيات أيام زمان، القبضايات منهم و«الزعماء» والوجهاء... لقد نشأ بينهم وعاش حين كانت بيروت بريئة كخدود العذارى، تنام في التاسعة إذا طال السهر وتصحو في السادسة حتى وإن امتدت الأحلام، وتقيم جسر العلاقات مع الآخرين وتعبده بحسن النوايا أو ما يسمونه بـ«البركة».

في الثلاثينات، كان أحمد خليفة - وهذا هو اسمه الحقيقي - الطفل يشهد الحياة الهادئة من أمامه تمتصها ذاكرته اللاقطة، التي عرفت «فرويد» دون أن تتعرف إليه، والتي تنكرت له بعدئذٍ، يوم كان على الطفل أن يعيش في زمان غير زمانه، طفولة طرية في الداخل، وصلبة خشنة من الخارج، في مدرسة «الفاروق» بدأ الفن يجتذب أحمد إليه، عندما كانوا يقيمون حفلات موسمية على مسرح المدرسة كان الطفل المتعلق بأثواب الممثلين وصورهم يتلون بالدور كما هو التمثيل المدرسي. هكذا عاش وسط أول جمهور له، ثم انتقل إلى دائرة أكبر وأوسع عندما ظهر كممثل على مسرح «التياترو الكبير» في «حياة الشباب» كأول مسرحية (١٩٣٩) ثم «حياة النساء» و«صوت الفقير».



أبو «عبد» وأبو «صياح» شخصيتان تجسدان الانسجام في المجتمع البيروتي والدمشقي

ولعل أهم ذكريات «أبو عبد» أنه مثل في إحدى المسرحيات، وكان الدور يفرض

بيروت في البال

عليه أن يصدم زوجته بالسيارة، فلم تهن عزيمة الممثل وتضعف أمام تواضع الإمكانيات، بل أتى بسيارة إلى المسرح، تعاون مع ميكانيكي على فكها خارجاً وتركيبها داخلاً، ثم تعاون مع آخرين على إغراق المسرح بالثلج والمطر. كان آنذاك على رأس الجمهور أحمد جلال وماري كويني فذهلا عند انفراج الستارة وصفقا له طويلاً عند إسدالها...

في أوائل الستينات جاء إلى أحمد خليفة زميله علي الجندي يحمل إليه بشرى سارة، تعرفه إلى التلفزيوني جورج دفوني، الذي عرض عليه العمل، وكيف انتهزها الجندي فرصة سانحة لكي يخبره عن زميله المتفوق عليه أحمد خليفة، ولكن الدفوني كان عليه أن يقبض على العصفور الذي في يده أولاً، ثم يلتفت إلى العصافير الباقية على الشجرة... وهكذا لما مثّل الأول تبعه الثاني في تمثيلية «أخي سعيد» ثم «محروم» ثم بدأ تقديم البرنامج المعروف «أبو عبد البيروتي» فكانت فرصة سانحة له كي يروي حكايات الماضي لمدة عام بصورة شبه متواصلة، ينبشها من ذهنه، ويلاحقها من أفواه المخضرمين في المقاهي الشعبية، ودافعه الأساسي لإحياء هذه الشخصية، تعلقه بها وسيرها التلقائي في درب الانقراض، بدليل أن «أبو عبد» عندما ذهب ذات يوم إلى خياط «القنابيز» طالباً منه تصميم قمباز وحياكته بشكل يليق بمقام الشخصية كانت كلمة الخياط: «جاء يوم الرزق يا أبا عبد. لقد قل عدد زبائني لدرجة أنه كلما ينتقل أحدهم إلى دار البقاء ـ العمر الطويل ـ أحس أن الواجب الإنساني والعملي يدعوانني إلى الحداد أطول فترة ممكنة، فمن يموت يترك قمبازه خلفه دون وريث».

«أبو عبد» كما هو في الواقع...



ويذكر «أبو عبد» أن الخياط اعتبر برنامجه «دعاية» غير مباشرة لأزياء أيام زمان وسوق رواج لها، تصيبه ويجني منها ما فيه النصيب وما تفيض به الأريحية... السيالة. غير أن أحمد خليفة لم يحصر ذاته طويلاً في برنامج مستقل، وإنما تنقل في برامج وحلقات من خلال هذه الشخصية غالباً وسواها كظهوره في «حكواتي زمان» و«أنا وحماتي» مع محمد شامل، و«كانت أيام» للمخرج باسم نصر، وفي أفلام عدة أبرزها: «سفر برلك» و«بنت الحارس» إخراج بركات

بيروت ١١

من يموت يترك «قمبازه» دون وريث

و«مهمة سرية» إخراج ظافر أوغلو، و«النهابون الثلاثة» و«سارق الملايين» إخراج نيازي مصطفى وغيرها...

ويحفظ «أبو عبد البيروتي» الكثير من القصص والمشاهدات في ذاكرته عن أبناء الجيل الماضي، وأبرز هذه القصص ما يقوله «أبو عبد»:

- في الثلاثينات كان هناك قبضاي يدعى الحاج رشيد رمضان، يمضي أوقاته في مقهى الحاج داوود، فقصدته ذات يوم محجبة تطلب منه مساعدتها. مد الحاج رمضان يده إلى جيبه فاكتشف أنه لا يحمل مالاً فقدم لها ساعته الذهبية ذات السلسلة، فلما ذهبت المرأة لتبيعها صدف أن دخلت محل الصائغ الذي كان قد اشترى منه الحاج الساعة. اعتقد البائع أن المرأة سرقت الساعة فذهب وإياها إلى صاحب الساعة الحقيقي. استاء الحاج لما وقع نظره عليهما لعدة أسباب أولها، أن شكل المرأة بنبرة يأسها وحزنها لا يقولان أنها سارقة، وانتهى سوء التفاهم بأن طلب الحاج من الصائغ أن ينقد المرأة عشر ليرات ذهبية من باب الاعتذار، في حين أن ثمن الساعة الأصلي كان ثماني ليرات ذهبية عثمانية...

ويسترسل «أبو عبد» في حديث الذكريات:

- كانت أيام زمان لها طعم الخير ولون الحلم ولمسة العصا فيها كل الخشونة ولكن فيها كل النكهة الإنسانية. طبق الأكل لم يكن لأصحاب البيت وحدهم بل لكل العائلة أو من يمت إليها بصلة الحسب والنسب والصداقة الأبدية، لذلك كان صحن الغداء أو العشاء «يسافر» من بيت إلى بيت، حتى وإن كانت المسافة عشرة كيلومترات... هذه المسافة في ذاك الزمن كانت تعني سفراً، فمظاهر المدينة كانت تحاكي الريف إلى حد ما في مظاهره، كان طابعها الأساسي بطء الحركة، ووسيلة السفر الـ «فورد أبو دعسة» بمحركه المضطرب وصوته المبحوح. أما جيل الفنانين فقد كانوا يحبون فنهم ويعيشون فيه ويشقون من أجله، وكانت الحلقات الخاصة والتمثيليات منها لها طابع الجهد ونية الإخلاص، أما دور السينما فقد كانت زرائب للحيوانات في الأساس...

دق طاولة مع «أبو صباح»!



بيروت في البال

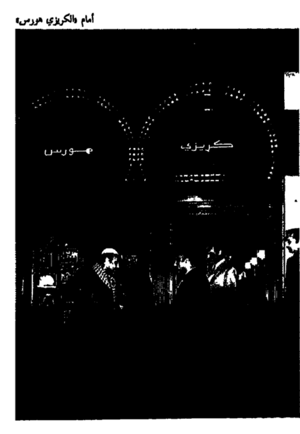
ويذكر «أبو عبد» أن حبيب الدندشلي ـ وهو من رجال بيروت القدامى ـ اتفق مع اثنين من أصدقائه إلى السفر إلى حلب لحفظ الموشحات الأندلسية، والقدود الحلبية، فركبوا حماراً وعاشوا في السفر ستة أشهر ليحفظوا مقطعاً...

كان أبناء ذلك الجيل ـ يضيف «أبو عبد» ـ يعيشون «على البركة»، لم تكن هناك أناقة لكل يوم وساعة وإكسسوارات تملأ الأسواق والجدران والأجسام. من كان مقتدراً كان يملك «الفونوغراف»، أما من عاشوا يبحثون عن خبزهم، قوت يومهم، فكانوا يعتبرون «الفونوغراف» هو الشيطان بعينه...

وينتقل «أبو عبد» إلى درب آخر فيقول:

ـ كان الحجاب نافذة النظر عند النساء، و«ملاية النفخ» موضة «الستّات». حدث في يوم من الأيام أن وقع نظر حاج على محجبة ظهر شعرها من تحت الحجاب فنادى صبي المقهى وطلب منه أن يبلغ «الأخت» بأن تصلح من حجابها. فذهب الصبي يحمل إلى الأخت كلام الحاج، فاختفت السيدة بعدئذٍ في عجلة من أمرها في مدخل أول عمارة صادفتها ولم تخرج منها إلاّ بعد أن ذهب الحاج.

أمام «الكريزي هورس»



ويروي «أبو عبد» قصة القبضاي «أبو سعيد»، يوم طلبت منه زوجته وهو في الطريق إلى المقهى أن يصطحب ابنهما معه كي يأتي إليها بصابونة من دكان الحي، فغضب «أبو سعيد» من زوجته وزمجر وكاد يمطر خناقة لو لم يتذرع بالصبر ويحدّث زوجته عن بعد نظره: «كيف تريدينني أن أصحب ابني معي؟! إنني أخشى إذا ما رافقني في هذا المشوار ثم رافقك بعدئذٍ أن يقع نظر أبناء الحي عليه فيتعرفون إليك من خلاله ثم يقولون زوجة «أبو سعيد» عرفناها أخيراً...

ولكن، ماذا يحفظ «أبو عبد» عن القبضاي الحاج عثمان عبد العال؟

يقول «أبو عبد»:

ـ كان الحاج عبد العال قبضاي على الخاطر، صدر رحب يعرف أن الإنسان لا يصرخ إلاّ من شدة الألم. صدف أن جاء إليه أحد أزلامه يقول له: يوم أمس كانوا يغتابونك، وقد قررت أن أدخل في خناقة مع أحدهم لهذا السبب، ولكن الحاج لم ينفعل وإنما دخل

إلى المقهى ونادى رواده وهو ما زال على العتبة: «قفوا يا شباب... اجلسوا يا رجال» مكرراً العبارة أكثر من مرة لفرض الهيبة، ثم أرسل يطلب من اغتابه ليعطيه رغيفاً ومالاً، وراح بعدئذٍ الحاج عبد العال يقص على الموجودين حكاية الجوع، ماذا يفعل بالإنسان؟ وكيف يفقده صواب التصرف... وسط استغراب لفّ وجوه كل الموجودين...

أما بنوك تلك الأيام فقد كانت صناديق الأغنياء، يأتي فلان ليطلب من فلان مبلغاً من المال، فإذا كان رجلاً فشاربه كلمته، وكلمته هي مسلكه الطيب... كان المقتدر يطلب منه التوجه إلى الصندوق وأخذ ما يريده، حتى إذا ما أصبح بوسعه أن يسد دينه طلب منه الدائن الذهاب إلى الصندوق ذاته، وإيداع المبلغ فيه دون عده، فالثقة كانت عنوان ذاك الزمن والجيل...

ويغرق «أبو عبد» في الذكريات فيقول:

ـ أيام زمان لم يكن الشخص ينام إلاّ بعد أن يتفقد جاره، هذه أصالة ومحبة، إذا كان جاره يعاني من مرض فهو لا ينام إلاّ بعد أن يقوم بواجبه تجاهه إذ يأتي له بالطبيب والدواء إذا اضطر الأمر، لأن سيدنا محمد(ص) وصّى بسابع جار.. إذا غضب شخص من آخر كان يجافيه النوم، ويحدث أن تسأله زوجته عن حاله فيرد عليها بأنه أغضب فلاناً، ولم يكن يهدأ باله أو خاطره إلاّ بمصالحة تتم في اليوم التالي... «كان في محبة، كان في ألفة، كان في احترام»، كان يدخل القبضاي إلى البيت بعد أن يطرق الباب قائلاً: «يا الله، في حريم، خدوا الطريق» وليس كحال اليوم... كان هناك احترام للبيت وأهل البيت... كذلك كان عمل الخير هو المسيطر، إذا كانت هناك عائلة مستورة يسارع أحد القبضايات للقيام بما يلزم مثل «أبو عبد» و«أبو مصطفى» و«أبو زهير» يتسابقون لسد الحاجة، دون أن تدري اليسرى ماذا فعلت اليمنى؟ كان عمل الخير مستتراً، كيف يعطون الحسنة «ما حدا يعرف...» كان القبضايات المحسنين يوفدون

يلعب الطاولة وسط تدخلات عدد من المعجبات



بيروت في البال

أشخاصاً من قبلهم بحمل ما تحتاجه العائلة، فإذا سألوا عن المحسن أخفى الشخص اسمه واكتفى بالقول: «هذا من مال الله...» وعندما يعود كان القبضاي يسأل: «وصلت الأمانة» ويجيبه بالإيجاب، عندئذٍ يدعو القبضاي له بطول العمر...

مرة كنت جالساً أنا والحاج سعيد حمد ـ وهو قبضاي من قبضايات «البسطة» ـ تغمده الله برحمته فقال لي: «يا ابني إذا توفي أحد بالمنطقة أخبرني كي أشيعه، هذه حسنة عند الله...» وفي بعض الأحيان كان يهم بمغادرة المقهى فأسأله: «وين يا حاج؟» فيجيب: والله ع طرابلس لألتقي أخوتي وأولادي»، وكان قبل أن يذهب يملأ جيبه بالمال ويوزعه هنا وهناك... تلاقيه مرة في طرابلس، مرة في صيدا، في أي مكان كان له أهل...

ويستعرض «أبو عبد» أسماء القبضايات فيقول موضحاً في البدء:

ـ هناك قبضايات عرفتهم وقبضايات لم أعرفهم... ومن الذين عرفتهم الحاج عثمان عبد العال، الحاج سعيد حمد، أمين السردوك، الحاج عبد الغني الحلوة، الحاج أمين حجازي، حسن السبع، عفيف السبع، عبد اللطيف النعماني، الحاج حسين خريرو، الذي كان كلما اتجه إلى جونيه تقرع الأجراس لقدومه، لماذا؟ لأن الحاج آدمي وقبضاي بأخلاقه وليس بمراجله... مفهوم القبضاي هو الذي يستر العائلات المحتاجة... القبضاي هو الذي لا يدع أمه أو أخته تزوره في السجن نظراً لمسلكه الطيب، كما هو الحال اليوم...

ولكن ما هو المكان المفضل عند «أبو عبد» في ذاك الوقت؟

يقول:

ـ «محسوبك» كان يتجه إلى مقهى الحاج داوود المطل على البحر، أو مقهى البحرين، وكان يرتادهما زعماء ووجهاء بيروت أمثال سامي الصلح، حكمت الداعوق، حسين قرنفل، زهدي يكن، الرسام مصطفى فروخ وغيرهم...

شخصية «أبو عبد»... بيروتية بالتمام والكمال!



١٢ بيروت

منصور القرم احتل بيروت خمسين سنة

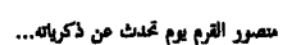
صالة «منصور» كانت ملتقى السياسيين و«القبضايات»

قال له رياض الصلح: «واجبك أن تقدم برنامجاً ترفيهياً» وهكذا كان

كانت الراقصة ممنوعة من الظهور إلاّ إذا ارتدت سبعة فساتين

يوم زار الرئيس بورقيبة لبنان سئل عن ذكرياته فقال: «اسألوا منصور»!

لا يذكر الليل والسهر إلاّ ويقفز اسم منصور إلى واجهة الذكريات. إنه منصور القرم صاحب «كباريه منصور» حيث كان طلاب اللهو يفرغون أحزانهم حول طاولة عامة بالطيب واللذيذ. وإنها الصالة التي التقى فيها سياسيون وزعماء وقبضايات، وكانت في ما مضى المسرح الغنائي الذي انطلقت منه الأصوات الأولى للفنانين، وهي الصالة التي لا يمكن لتاريخ الليل البيروتي إلاّ أن يقف عندها وقتاً طويلاً...



منصور القرم يوم تحدث عن ذكرياته...



في تحقيق أجراه الزميل إلياس منصور مع منصور القرم في أوائل السبعينات جاء فيه: ثلاث وصايا قالها ابن الخمس والسبعين سنة، بعدما توقف به القطار في المحطة المرة:

«إذا كانت في عينك دمعة فأنت مهزوم. إذا كانت لديك عاطفة حارة فحاول أن تخمدها، إذا كانت كفك مفتوحة فإن مصيرك الإفلاس».

وصفر القطار مقهقهاً، تاركاً الرجل العجوز يستعرض ذكرياته ويضع الظاهر من ماضيه في الجملة المناسبة من حياته. أما المستتر فيتركه لأصحاب التقدير.

في عز الشتاء من العام ١٩١٨، نزل شاب في الثانية والعشرين إلى بيروت هارباً من قسوة البرد في مسقط رأسه غوسطا (٣٥ كيلومتراً عن بيروت)، قاطعاً المسافة على ثلاث مراحل: من غوسطا إلى جونية على ظهر حمار. من جونية إلى الدورة في قطار بخاري. ومن الدورة، حيث المحطة، إلى حي الزيتونة في عربة خيل...

بيروت في البال

كان اسمه منصور القرم. وكانت الدرب من غوسطا إلى الزيتونة مفروشة بالحرير.

في الزيتونة اختار ابن معلم العمار، صنعة كانت تطعم ذهباً كل من يحترفها. عمل في وظيفة «غارسون» في ملهى ليلي كان يمتلكه رفول موقدية. وكان اسم الملهى «كيت كات». ولم تكن الملاهي آنئذٍ أكثر من ثلاثة: «بار بلاكتن، بار الفونس» وملهى «كيت كات».

استمر ابن غوسطا في خدمة زبائن الملهى مدة خمس سنوات استطاع خلالها أن يربي عدداً من الليليين ويجذبهم بتدبيره وتخصيصه إياهم بخيارة إضافة أو صحن كبيس. كان يقدمهما لهم حيث عين صاحب الملهى لا ترى. وكان معظم هؤلاء الزبائن من الصحافيين والدارجين في السياسة والنافذين لدى السلطات التي كانت قائمة آنئذٍ.



أحد الفنانين يرسم على الرصيف في ساحة الشهداء

كان ابن القرم خلال خدمته لدى رفول موقدية، يجمع القرش الأبيض لليوم الأسود. وفي يوم من الأيام جاء من يضخم القصة في عقل «الغارسون» في محاولة لشده إلى فتح «مغلق» يستطيع بواسطته أن «يسرق» زبائن معلمه رفول موقدية عن طريق خيارة إضافة وصحن كبير مشكل يضمهما إلى المازة اللازمة لكأس من المشروب بعيداً عن عين المعلم. وتطلع منصور إلى بحر الزيتونة فوجد أنه عائم على خيارة وصحن كبيس. وحدّق جيداً فتراءى له أنه سيصبح يوماً أمبراطور الليل والزبائن وكان له ذلك. جمع القروش البيض المعبأة في المخدة، وقام ففتح محلاً صغيراً ملاصقاً لـ «كيت كات». واندلق الزبائن على المحل الصغير الذي كان يشبه عب العجائز في أيام الأعياد. لكن المعلم موقدية أحس بجذور «منصور» تمتد إلى ملهاه الكبير وتكاد تشقق الأرض تحته فما كان منه إلاّ أن خفض سعر الكأس والمازة فجعله مع الموسيقى بعشرة قروش، وهو السعر الذي كان منصور يتقاضاه من الشاربين ولكن دون موسيقى. وإزاء هذا التصرف من المعلم القديم، قام منصور فرفع سعر الكأس في محله إلى خمسة وعشرين قرشاً بدون موسيقى...

ودارت الحرب بين الاثنين في وقت كان فيه منصور قد افتتح محلاً جديداً أطلق عليه بار منصور ثم مطعم منصور.

١٢ بيروت

من غارسون الى صاحب مطعم وصالة

ويعترف منصور القرم أن من زبائنه بين الثلاثينات والأربعينات الشيخ بشارة الخوري، ميشال زكور، رياض الصلح، سعيد صباغة، سعيد كسيب وفريقاً من آل مطران كان يأتي خصيصاً من حيفا لقضاء سهرة عند منصور.

ولم يقتصر توسيع النشاط في نهاية الثلاثينات على مطعم «منصور» فحسب، بل تعداه إلى إنشاء صالة لعرض الأفلام السينمائية أطلق عليها اسم «بيجو» (جوهرة). وكان منصور يعرض في صالته أفلاماً صامتة حوّلها بعد التجربة إلى أشرطة ناطقة. فكان مثلاً أثناء عرض شريط مصور عن «بن هور» يفتح براميل البيرة المضغوطة عند مرور مشهد إحدى السفن وهي تغرق في هياج البحر، كما كان يجعل من حفيف ورق الزجاج صوتاً يصور حشرجة القتيل. وهكذا نطقت السينما الصامتة في «جوهرة» منصور، تلك الصالة التي قام مكانها «نادي سان جورج»، وكان الدخول إليها لا يكلف أكثر من قرشين ونصف القرش. وكانت هي تمتلىء بالمتفرجين مساء السبت فقط. أما الليالي الباقية فكان لا يدخلها غير العاملين فيها.

وفي خلال سنوات الحرب العالمية الثانية كان «مطعم منصور» ملتقى لرجال الانتداب الفرنسي، وكان في الوقت ذاته مكاناً اجتمعت إليه الموائد التي كان الطعام شكلاً تزيينياً عليها، فيما كان المتظاهرون بالأكل يقصدون الندوات السياسية لمناهضة السلطات المنتدبة...



كاباريه منصور كانت تقدم أحلى ليالي العمر

وانتهت الحرب، وبقي أثرها في الرجال، لكن «مطعم منصور» لم يصبه جرح من هذا الأثر، ذلك أنه كان يستقبل جميع الفرقاء مهما باعدت بينهم المبادىء والأهداف.

في يوم من العام ١٩٤٤ دخل رياض الصلح إلى «مطعم منصور» يرافقه عفيف الطيبي وحسن اللادقي، وناول صاحبه «كلمة السر» التي اعتاد عليها، وهي: «يا منصور... كول هوا». وبعد فرش الطاولة بلزوميات العشاء،

بيروت في البال

قال رياض لمنصور إن: «الناس تقدمت، وواجب عليك أن تقدم في الصالة برنامجاً ترفيهياً للساهرين». وفكر منصور في كلام «البيك» ثم بعد إلحاح من الزبائن الدائمين اقتنع بالفكرة. وبعد أسابيع عقد اتفاقاً مع بعض المغنين الناشئين.

ومرة أخرى يستبيح منصور القرم لنفسه أن يفتح ماضي الأيام، ويقول إن خشبته شهدت أول صوت أطلقه وديع الصافي، وكانت أغنية «عاللوما». وتبعت وديع الصافي سهام رفقي، أوديت كعدو، إيفيت فغالي، نادية شمعون، ومن عنده انطلق أول موال بغدادي غناه إلياس ربيز. وكان أغلى أجر يتقاضاه أحد هؤلاء الفنانين، سبع ليرات عن كل ليلة.

وكانت لائحة ثانية بأسماء الفنانين الذين كانت أولى وقفاتهم على خشبة منصور. من هؤلاء محمد سلمان، نورهان، أنطوانيت إسكندر، سلامة، سميرة توفيق ونزهة يونس.

ومن الفنانين الذين تركوا قهراً في قلب منصور القرم، وديع الصافي الذي كان لا يصل إلى دوره إلاّ متأخراً، ترافقه طلائع من الأنصار والمصفقين الذين ما كان زبون يتذمر من صوت وديع الصافي، إلاّ ويطعمونه «قتلة» ضارية...

محلة «الزيتونة» وملاهيها



وبعدما اكتسح «الفن» صالة منصور وذاع الصيت في كافة الأقطار العربية، صار الرواد يتصلون بصاحب الصالة من دمشق وحلب واللاذقية لحجز طاولات لهم يمضون حولها أحلى ليالي العمر. لكنها ليالٍ حافظت على الهدوء والحشمة ولم تجر على ابن القرم إلاّ السمعة الحسنة التي حافظ هو معها على اجتذاب العائلات وطلاب اللهو النظري. من ذلك أن منصور كان لا يسمح للراقصة بالظهور على الخشبة قبل تثبته من أنها ترتدي سبعة فساتين مرة واحدة. ومن تشدده على الحشمة

١٢ بيروت

على خشبته غنى وديع الصافي «عاللوما»

أطلق عليه الصحافي عارف الغريب اسم «الفوهرر».

وفي العام ١٩٤٥ أضاف منصور القرم إلى ملف الحشمة والمحافظة شهادة أخرى، عندما تزوج من ماري أبو جودة، وهو فعل ذلك بعدما اقتنع أن لا مفر من أن ينبت على كعب الشجرة فرخ يمكنه في المستقبل أن يمد يده إلى أمبراطورية الليل التي حكمها طويلاً رئيس «حزب البيروتيين المحافظين».

وكانت لمنصور أكثر من حادثة مع رجال البوليس في ظل ما قبل الاستقلال. ففي العام ١٩٣٨ قصد وزير الداخلية آنذاك ميشال زكور، وكان من أعز الزبائن والأصدقاء، وطلب إليه أن يسمح له بتوسيع الكباريه عن طريق بناء خيمة صيفية في قطعة أرض مجاورة. ولم يكن طلبه لدى الوزير الصديق باهظاً. وبعد مدة من بناء الخيمة أرسل إليه عبد الله اللبان ـ وكان رئيساً لشرذمة من البوليس ـ فريقاً من الشرطيين اقتادوه تحت الحفظ إلى الدائرة. وهناك سمع من اللبان أقسى الكلام وأعنف الشتائم لأنه استباح أرض الغير وبنى عليها خيمته. ولكنه بعد طول إصغاء مد يده إلى وسطه محاولاً إخراج شيء ما من جيبه الخلفي، فظن اللبان أن منصور يشهر مسدساً عليه، الأمر الذي جعله ينهض من مقعده لتسديد ضربة إلى وجه منصور. لكنه تراجع حيث واجهه منصور ببطاقة من وزير الداخلية يخوله فيها حق البناء فوق الأرض المجاورة. وبسرعة البرق حول اللبان عنفه وشتائمه ناحية رجال الشرطة، ونشأت بين الاثنين صداقة أثمرت سهرات طويلة...

ومن ١٩٤٨ إلى ١٩٥٦ كان الليل بالنسبة إلى منصور القرم مثل بطون الخيل ونواصيها، فهو كان خلال تلك السنوات عنتر زمانه. ينشر سطوته على ملاهي الزيتونة، وكلمته لا تصير كلمتين في أية مشكلة تقع في تلك المحلة. ولا ينسى جيران منصور ذلك الخنطي الفارع الذي كان يتمشى في شارع الزيتونة، وكانت نظرته الجادة تركع الشجر وترجف القبضايات، وتجعل الخارجين على الآداب واللياقة مثل تلامذة المدارس. وكم مرة قامت في الكباريه معارك بالكراسي والقناني، وكانت مجرد كلمة منه تعيد الأمور إلى أصولها وتستمر السهرة على «الهز والمز» وكل ما لذّ وطاب...

وما كاد العام ١٩٥٧ يطل، حتى أطلت معه النكسة... بدأ الزحف

الخنطور تاكسي الأيام الغابرة



من الزيتونة إلى الحمرا. وافتتحت «مدارس الليل» أبوابها، ومع افتتاح هذه «المدارس» كان من الطبيعي أن يقفل منصور «سجنه» ويضاف إلى ذلك ارتفاع بدل الإيجار. فبعدما كان البدل السنوي مائة وخمسين ليرة لبنانية، ارتفع في ١٩٥٧ إلى أربعمائة ألف وخمسمائة ليرة. كما أن عنصراً ثالثاً دخل في سياق أسباب النكسة، وهو أن «القبضايات» الذين كان منصور يردهم إلى حجمهم الطبيعي بهزة من عصاه، صاروا يعملون في الملهى تكسيراً وتحطيماً، مستندين في ذلك إلى الحماة والنافذين.

وفي ضوء هذه الأسباب، استمر منصور يأكل من «اللحم الحي» فترة من الزمن اضطر على أثرها إلى «التقاعد» بعد إعلان إفلاسه. ولكن الليل بقي يشغفه، حاول استرداد مجده أكثر من مرة، عن طريق تشغيل الملهى بأسماء بعض الأصدقاء. فقد استعان ببعض زملاء الأمس وجدد الرخصة الميتة بعامل الإفلاس. لكنها محاولات لم تجلب له سوى ختم المحل بالشمع الأحمر. وتجدر الإشارة إلى أن الإفلاسات التي تعرض لها منصور القرم بلغت سبعة، لكن أكداس اليأس كانت تتخللها بعض ومضات الأمل، ومن ذلك أنه أجّر الملهى لأحد أصدقائه ممن يتعاطون هذه الصفقة. ولكنه أمل أطفىء في المهد. ذلك أن المستأجر تمنع عن دفع الإيجار بسبب النكسات المتلاحقة التي جرت إلى الزيتونة مزيداً من الفقر والحرمان... والكراسي الفارغة.


سوق الطويلة كان سوق الأناقة

في أوائل السبعينات اضطر منصور القرم إلى ترك منزله في «وادي أبو جميل» لعدم تمكنه من دفع الإيجار. انتقل إلى سطح الملهى وأقام مع زوجته وولديه آمال وإميل وأقاموا في غرف ضيقة كانت في عهد الازدهار مستودعاً للصناديق والأثاث المحال إلى التقاعد. ولولا الليرات المعدودة التي كانت تتوفر من مدخول ولديه، لكان منصور شحذ الخبز الحاف...

وفي ذاك الوقت فتح منصور سجل الأرباح والخسائر فتبين له أنه ١٩٤٥ و١٩٦٠ بلغت مليون وثلاثمائة ألف ليرة لبنانية. لكنه رقم بين هزيلاً وشاحباً إذا قيس بالطموح الكبير الذي حقق منه منصور الشيء الكثير.

١٣ بيروت

دور السينما والأزياء تقتحم شارع الحمراء

جاء بسيارة كاديلاك وطلاها بلون الذهب لتشكل دعاية لحفلة الافتتاح

فاقت شهرة الحمراء أشهر شوارع العالم

الأخوان عيتاني أسسا أكثر من صالة في المناطق ومن ثم جاءا إلى الحمراء

على خشبة «البيكاديللي» رقصت فرق عالمية وغنت فيروز وداليدا

لشارع الحمراء شهرته المحلية والعربية والدولية... وهو إذا لم يعرف الدمار خلال الحرب، إلاّ أنه لم يعش ازدهار الماضي، ذلك أن أشياء عدة تغيرت فيه تكمن في نوعية الأفلام التي تعرضها الصالات السينمائية المتوزعة على جانبي الشارع(...) واحتلال المهجرين لبعض عماراته، بالإضافة إلى النظام الذي يسير عليه الأهلون، حيث السينما في ظل الحرب تصبح ترفاً كما يرى البعض، بالإضافة إلى أشرطة «الفيديو» التي تعوض الذهاب إلى دور العرض والبقاء في البيت ما أمكن...

شارع الحمراء كان المتنفس الطبيعي والمميز لساحة البرج، وها هو أول رجل يبني فيه داراً للعرض باسم «سينما حمرا» يتحدث، إنه إميل دبغي ابن حاصبيا المولود العام ١٩١٦.

ويبدأ إميل دبغي حديثه فيقول:

ـ كنا نسهم بإنتاج الأفلام السينمائية المصرية، ومن هذه الأفلام «موعد مع الحياة» بطولة فاتن حمامة، التي حضرت حفلات العرض شخصياً في سينما «متروبول»... وفي العام ١٩٥٦ التقيت صديقي السيد مانويل عريضة فعلمت منه أنه سيبني عمارة في الحمرا... ولم يكن شارع الحمرا كما نعرفه، كان هناك ولم يزل مبنى الجامعة الأميركية، ومستشفى الجامعة، بالإضافة إلى مكتب شركة التابلاين وعديد من السفارات. قلت لنفسي بعدما أصبح البرج مكاناً شعبياً، فإن من الضروري بناء سينما تستقطب إليها رواد الحمرا المميزين وأبرزهم الطلاب، إذ إلى جانب الجامعة الأميركية، كانت هناك ولم تزل كلية بيروت الجامعية التي عرفت باسم «جونيور كولدج».. واتفقت مع آل عريضة، وعلى وجه التحديد مع يوسف عريضة والد مانويل على بناء

إميل دبغي كان السباق الى الحمراء...



بيروت في البال

صالة سينما في عمارته.. وفي الواقع لفه الاستغراب في بادىء الأمر لخلو الشارع من أي دار للعرض... قلت له: لماذا تبني عمارتك؟ قال: لكي أؤجرها، قلت له عندئذ: أنا أستأجر إذاً الطابق السفلي لقاء نسبة مئوية وقدرها اثني عشر بالمئة في السنة، وأضمن لك تلك النسبة لمدة خمس سنوات. وفي العام ١٩٥٦ كانت العمارة تبنى حتى إذا ما أطل العام ١٩٥٨ كانت حفلة الافتتاح والعمل لمدة شهرين إذ اندلعت ثورة العام ١٩٥٨...

□ ولماذا أطلقت عليها اسم الحمرا؟

ـ أنا أعرف الشارع جيداً قبيل ازدهاره، ولم يكن فيه ما يغري، وعلى سبيل المثال فإن «مركز صباغ» مثلاً اللافت للأنظار اليوم كان عبارة عن تلة يحيطها الرمل الأحمر، ومن هذا المنطلق كان الاسم... وثمة شيء أساسي واجهنا في تلك الفترة، هو أن الشركات السينمائية كانت تضمن عرض الأفلام الغربية المتوزعة في ساحة البرج، ولم يسبق لأي دار غير دارنا أن شذّت عن ذلك الواقع، لذا كان من الطبيعي أن نوفر الضمانات للشركات، خصوصاً وأن بحثنا تركز على اختيار أقوى وأهم الأفلام الغربية. وبعد ثلاث أو أربع سنوات صارت إيرادات السينما كإيرادات دور العرض في البرج، وبعد سنوات أصبحت الإيرادات تضاهي إيرادات البرج...

ويسترسل إميل دبغي في الحديث:

ـ في الوقت نفسه كان ابن أختي في بغداد إلى أن جاء إلى بيروت فقلت له: تعال نعمل مقهى رصيف...

□ تقصد السيد منح؟

ـ نعم... وأنت كنت من رواد مقهاه ومطعمه الـ «هورس شو»... كذلك كانت زوجتي تملك محلاً لبيع الملابس النسائية فتجاذبنا الحديث حول إمكانية نقل محلها إلى الحمرا تحت اسم «ليه غلون»، وفي هذا الوقت كان الشارع قد بدأ يزدهر تدريجياً ويتعرف إلى إنشاء عدة محلات فيه، وهكذا أصبح حالنا: نلبّس الناس ونطعمهم ونسليهم... وبدأ الشارع يشهد حركة إقبال ملحوظة من قبل الناس الذين كانوا يرتدون آخر التقاليع وكأنهم ذاهبون إلى حفلات كوكتيل أو ما شابه، كذلك النظافة التي لم تكن يوماً من

بائع اليانصيب



١٣ بيروت

الدبغي يلبس الناس ويطعمهم ويسليهم

الأيام موضع بحث أو جدال في الشارع، ولربما تذكر ذلك الرجل الذي كنت قد وظفته كمسؤول عن نظافة الرصيف لدرجة يندر أن تشاهد عقب سيجارة على الرصيف... كذلك كان الإقبال على الحمرا من قبل الشخصيات لافتاً كريمون إده الذي كان يقف بالصف للحصول على تذكرة الدخول، وكذلك كميل شمعون الذي كان مواظباً مع عقيلته السيدة زلفا على مشاهدة الأفلام المتابعة... والحقيقة أن حفلة الافتتاح كانت مهمة وذات شأن...

□ وما هو الفيلم الأول الذي عرضته صالتك؟

ـ كان فيلم «كاديلاك من ذهب خالص» ويومها أتيت بسيارة كاديلاك طُليت بلون الذهب وتجمع فيها عدد من الفتيات الجميلات وراحت تلف الشوارع وتعلن عن عرض الفيلم... وازدهرت السينما عاماً بعد عام لدرجة أن إيراداتها كانت مضاعفة بالنسبة إلى إيرادات ساحة البرج... وهذا ما شجّع أصحاب دور العرض على بناء صالات جديدة، بالإضافة إلى ازدياد عدد المحلات التجارية...

وأنت تعرف أن شهرة شارع الحمرا فاقت شهرة بعض شوارع العالم صيتاً نظراً لاختصارها كل ما تطلب، أصبح شارع الحمرا يتحدى «الشانزليزيه» في باريس، و «فيفا فينتو» في روما، أو «أكسفورد ستريت» في لندن، أو «بارك أفنيو» في نيويورك... وفي أيام الأعياد كالميلاد مثلاً ورأس السنة كنا نقيم الزينة، ولعل الشجرة المواجهة لمقهى الـ «هورس شو» بأضوائها وزينتها ما زالت ماثلة في الأذهان... كان الذي يملك محلاً موضع حسد من قبل الآخرين، وكان الناس يرتادونه من أكثر المناطق سواء كانوا من سكان بيروت أو من سكان الجبال، بالإضافة إلى شهرته العربية والعالمية... ولعل ما يلفت النظر أيضاً في شارع الحمرا أن دور الأزياء كانت تعرض الجديد من الأزياء سواء للرجال أو النساء في الوقت نفسه التي تقدم الموضة في نيويورك وباريس وهذا ما يؤكده محل «ليه غلون» وغيره من محلات الشارع...

شارع الحمراء يوم كان يرتدي زينة وبهجة الأعياد...



بيروت في البال

□ لنعد إلى سينما الحمرا، لقد تخصصت بعرض الأفلام الغربية باستثناء أفلام فيروز...

ـ هذا صحيح ... ورغم أن علاقتي وطيدة بالسيدة فاتن حمامة، إلاّ أنني لم أتمكن من عرض أي فيلم لها، ذلك أن الناس اعتادوا أن يشاهدوا أقوى الأفلام الغربية عبر صالتنا، ولم يحدث أن عرضت السينما أي فيلم عربي باستثناء أفلام فيروز، وهذا موقف وطني لبناني، ذلك أن أي شيء يسهم في إنعاش البلد ولو بحدود سنتيمتر واحد فأنا من المؤيدين له والداعمين...

□ لقد بلغت سينما الحمرا مستوى لم تتعرف إليه ربما دور العرض الباقية، وهذا ما جعل مهرجانات السينما تقام فيها فكم مهرجان أقيم؟

ـ أقيمت فيها المهرجانات على امتداد ثلاث سنوات متتابعة فكانت تعرض أهم الأفلام العالمية، ولقد أتينا بالممثلة «إيلكاسمر» لافتتاح فيلم لها، كذلك جئنا بالممثل جون بول بلمندو، وكان يقضي معظم أوقاته في الـ «هورس شو» الذي شهد إقبالاً كبيراً من السياسيين والكتّاب والصحافيين والفنانين... أما بالنسبة إلى المهرجانات فلقد كانت موضع تشجيع واهتمام من الرئيس شارل حلو قبل أن ينتخب رئيساً للبلاد...



الرئيس صائب سلام والسيدة عقيلته يوم تمّ افتتاح سينما «اديسون» ويبدو خلفه والى جانبه خالد وهاشم عيتاني...

هذا ما قاله إميل دبغي عن الحمرا، ولكن ماذا يقول خالد عيتاني (من مواليد بيروت ١٩٣٥) الذي يملك وشقيقه هاشم عيتاني (من مواليد ١٩٣١) عدة دور عرض في المنطقة إياها؟

ـ أول دار عرض أسستها في محلة المصيطبة حيث ولدت، وكان اسمها «الفردوس» وكانت عبارة عن مئة كرسي، ومنها اتجهنا إلى تأسيس دار عرض باسم «عايدة» تعرض الأفلام العربية وأخرى باسم «بلازا» تعرض الأفلام الغربية في منطقة الزيدانية. وفي العام ١٩٥٩ أسسنا ثالث دار عرض في منطقة الحمرا ـ رأس بيروت مع أخي هاشم وشريكنا السيد محمود ماميش باسم «أديسون» وكنا نعمل بهمة ونشاط وننتخب الأمكنة ونستورد الكراسي والآلات السينمائية. كنا نعمل ولما نزل كمن يحمل لواء ثقافياً. ونحن أقنعنا السيدة فيروز عند الانتهاء من بناء الـ «بيكاديللي» بالغناء على خشبتها

بيروت ١٣

سينما بيروت تستقطب العائلات البيروتية

وتقديم مسرحياتها الغنائية مع الأخوين رحباني، كما أننا أتينا بفرق أجنبية عند الافتتاح وبعده كفرقة «أوبرا فينواز» وفرقة «باليه بولشوي»، كذلك أتينا بفرقة رومانية إلخ... ويومها فوجىء الأخوان رحباني والسيدة فيروز بإمكانيات الـ «البيكاديللي» الهائلة، وجربت السيدة فيروز صوتها في الصالة وبلا ميكروفون وكانت مسرورة من النتائج. ولقد بدأ تعاوننا معهم بمسرحية «هاله والملك» إذ قدمت هذه المسرحية لثلاثة أسابيع، ذلك أن الناس لم يكونوا قد اعتادوا الأعمال المسرحية الغنائية منها وغير الغنائية وكان ذلك عام ١٩٦٨، ومن ثم تتابعت الأعمال كـ «الشخص»، و «بترا» وأخيراً «صيف ٨٤٠» إلى حد أصبحت «البيكاديللي» تستقبل الرحابنة وفيروز مرة كل عام ضمن مواسم تعرف باسمهم...

اليوم نملك أربع صالات هي «البيكاديللي»، والـ «سارولا» والـ «مارينيان» و «جان دارك» التي قدم على خشبتها زياد الرحباني أكثر من مسرحية في وقت تتبارى باقي الصالات على تقديم الأعمال الفنية المميزة سواء كانت مسرحية أو سينمائية...

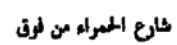
□ وكيف تقارن كصاحب دور عرض بين سينما المناطق وبين دور العرض في الحمراء؟

ـ عندما بنينا سينما «عايدة» كانت السينما العربية في أوج مجدها فكانت تعرض الأفلام المصرية الجديدة، وأذكر أننا افتتحنا الصالة بفيلم «صراع في الوادي» وحقق نتائج جيدة إذ مدد عرضه عدة أسابيع... كنا نقدم أفلاماً مثل «لك يوم يا ظالم»، و «سيدة القطار»، أي كنا نعرض الأفلام التي تلتف حولها العائلة، وكانت فرحة الناس كبيرة بإنشاء هذه الصالة إذ وفّرت عليهم الاتجاه إلى صالات البرج، خصوصاً وأن الفيلم الذي كان يعرض في البرج كان يعرض عندنا بعد أسبوع وبسعر مخفض، بل يمكن اعتبارها السينما العائلية نسبة إلى أن الرواد كانوا يعرفون بعضهم البعض... وقد فازت سينما «عايدة» وقتذاك بجائزة أحسن دار عرض...

ويفرض السؤال نفسه:

□ وماذا عن رواد الحمرا؟

ـ رواد الحمرا كانوا نخبة المتفرجين، دور السينما في الحمرا كان يلتقي فيها الناس على اختلاف مذاهبهم دون أن يسأل أحد الآخر عن


شارع الحمراء من فوق



بيروت في البال

دينه... كانت الحمرا ملتقى جميع السكان من بيروت وكافة الأنحاء اللبنانية، وهذا ما جعلنا نتجمع في «جمعية أصحاب المؤسسات التجارية في شارع الحمراء ومتفرعاته» ونقيم الزينة كل عام، كما كنا نطلب من الفرق التي ستقدم أعمالها في الـ «بيكاديللي» مثلاً أن يتجمعوا في مسيرات يشهدها الشارع... كذلك طلبنا من الدوائر المعنية أن لا تقيّد التجار بفتح محلاتهم ومواعيد إغلاقها كي يبقى الشارع في زهوه وبريقه مما جعل أصحاب المحلات يفتحون محلاتهم حتى منتصف الليل

□ ومَنْ مِنَ الشخصيات كان يتردد على دور العرض؟

ـ العميد ريمون إده الذي كان يداعبنا بالقول: «إذا ما في كراسي منجلس على الأرض»، نسبة إلى نظافة الصالة. كما وأن الشيخ خليل الخوري كان يرتاد دور العرض ولم يكن يتقيّد بقرار منع التدخين فيدخن سيجاره، مما يجعل الموظف المختص يجيء له بصحن سيجارة، أما الرئيس صائب سلام فقد كان يرعى صالاتنا بالنسبة إلى افتتاحها أو تقديم أعمال مميزة على خشباتها وشاشاتها سواء بصفته كزعيم بيروتي أو كرئيس وزراء...

□ وهل أثر التلفزيون على دور العرض؟



الأخوان عيتاني، هاشم وخالد، تتوسطهما داليدا...

ـ بلا شك... وقد كانت هناك دور عرض في المناطق أقفلها التلفزيون كسينما «جمال» الكائنة في حاووز المصيطبة، سينما «بريستول» أيضاً أقفلها التلفزيون وكانت قريبة من فندق «بريستول»، وكذلك سينما «فيروز» المواجهة لقصر كتانة... ولكن ذلك لا ينفي صمود الصالات الباقية المتوزعة في أحياء بيروت.

١٤ بيروت

شوشو من «الهاسبة» الى التمثيل

قدم شوشو ٢٤ مسرحية إلى أن اندلعت الحرب

تبنى شوشو شخصية العبيط المعاق فإذا به يتحول إلى شخص «جنتلمان»

عمل كمحاسب ورئيس قسم في البنك السعودي واستقال عند تاسيس المسرح

طلب جورج شحادة منه أن يسافر معه إلى فرنسا فرفض

كان حدثاً مهماً افتتاح مسرح شوشو الذي حمل اسم «المسرح الوطني» في منتصف السيتنات... وبفضل جهود ثلاثة هم حسن علاء الدين (شوشو) والمخرج نزار ميقاتي ومدير المسرح وجيه رضوان بالإضافة إلى جهود الممثلين الذين عملوا مع شوشو استطاع هذا المسرح بفضل رسالته الضاحكة أن يستقطب الانتباه ويجتذب الناس ومحبي الفن إليه. ومن قبيل المصادفة أن صرخ شوشو في مسرحيته «آخ يا بلدنا» في الوقت الذي تلاها نشوب الحرب اللبنانية فكانت الصرخة في مكانها...

وعن شوشو يتحدث وجيه رضوان (من مواليد بيروت ١٩٣٧) فيقول:

ـ ظهر حسن علاء الدين أول ما ظهر على شاشة التلفزيون في برنامج اجتماعي كان يكتبه محمد شامل الذي أصبح بعدئذٍ عمه، والد زوجته، وكان اسم البرنامج «يا مدير»... وفي الواقع لم تكن هذه إطلالة شوشو الأولى على الناس، وإنما كانت إطلالته الواسعة، إذ إنه منذ صغره كان يشكل الفرق الفنية ويمثل على قارعة الطريق، في حقل، في أرض مهجورة، في بيت قديم، على جمهور صغير، على عدد من الأطفال، على أفراد عائلته، كان يريد أن يمثل أينما كان وكيفما كان... إلى أن التقى بالفنان الممثل والكاتب محمد شامل فكتب له دوراً وأطلق عليه اسم شوشو، وكان يلعب في هذا البرنامج دور الولد العبيط، المشوه جسدياً. لكن هذا الولد العبيط المشوّه أخذ يجذب إليه انتباه الأطفال، ثم تحول هذا الانتباه من الأطفال إلى الكبار وأصبحت له شعبية واسعة، وهنا بدأت الضجة تكبر حوله، منهم من كان يؤيد هذا النموذج للطفل، ومنهم من كان يعارض هذا النموذج الذي يقدم صورة مشوهة ومعوّقة

وجيه رضوان: «المسرح الوطني» مغامرة كتب لها النجاح



بيروت في البال

للإنسان فقامت ضجة في وزارة التربية وفي المدارس وفي الصحف، لكن حتى الذين كانوا يكتبون ضده كانوا ينتظرون قدوم مساء السبت من كل أسبوع ليشاهدوه. لقد كان فتى فذاً وممثلاً ناجحاً... كان ممثلاً كوميدياً من الدرجة الأولى، بل إنه وُلد ليكون كوميدياً...

في هذا الوقت كانت قد بدأت تنشأ علاقة عاطفية بين شوشو وبين الآنسة فاطمة ابنة الفنان محمد شامل، ولما مانعت العائلة في زواج ابنتها من شوشو حدث المحظور، إذ أقدم شوشو على خطف فاطمة، الأمر الذي أدى إلى وقوع الخلاف بين شامل وشوشو وبالتالي إلى توقف شوشو عن العمل في برنامج «يا مدير»... وهكذا وجد شوشو نفسه على قارعة الطريق، فلقد كان برنامج «يا مدير» بالنسبة إليه أكبر رصيد من حيث الشهرة، ومن حيث الإطلالة، ومن حيث الوعد بأن يكون له هذا المستقبل الذي يتبناه...

وأذكر جيداً أن شوشو التجأ إليّ، وأنا وشوشو كنا صديقين قديمين. قال لي: ما العمل؟ قلت له: جرب أن تقدم برنامجاً على التلفزيون. قال لي: هذا يعتبر منافسة لعمي شامل وأنا لا أريد أن أنافسه. قلت: أنت من نوع وشامل من نوع آخر، بإمكانك أن تطرح برنامجاً جديداً بصورته ونوعيته، وأن لا تكون شوشو الطفل المعاق، بل شوشو الشخص «الجنتلمان» الذي يرتدي أفضل الملابس وأجملها والذي يتمتع بالأناقة ويكون شاباً وجميلاً لكنه هزلي الطبع. أردت في ذلك الوقت أن أعطيه صورة داني كاي الممثل الأميركي الكوميدي الشهير... وغاب شوشو عني فترة ثلاثة أسابيع ثم عاد ليقول لي اتفقت مع التلفزيون وسأقدم برنامجاً، وأذكر، وهذه شهادة للتاريخ، أنني كنت أول من ألبس شوشو بذلة أنيقة، إذ أخذته من يده واتجهت به إلى أحد الخياطين المعروفين في بناية «ستاركو» المشهورة، وطلبت أن يفصّل له الخياط بذلتين أنيقتين، ومن قبيل الصدفة أن بناية «ستاركو» كانت تواجه البنك السعودي الذي عمل فيه شوشو محاسباً إلى أن أصبح رئيس قسم ثم استقال منه حين أسس المسرح الوطني...

أنت ترى من كلامي أن الطريق إلى المسرح الوطني كان طويلاً وشاقاً، ولم يحدث فجأة، ولم يتم بصورة اعتباطية، ولم تظهر ليلة

شوشو عندما كان موظفاً في أحد البنوك



١٤ بيروت

صرخة «يا مدير» استبدلها «آخ يا بلدنا»

القدر على شوشو فتعطيه مسرحاً... كان قد أمضى مشواراً طويلاً من العذاب والمعاناة والتعب.

كما قلت أطل شوشو لأول مرة على التلفزيون بغير شخصيته التقليدية المشوهة التي كان يطل بها على الناس في برنامج «يا مدير»... هذه الشخصية التي وضعته في إطارها كانت هي الخطوة الأولى نحو شخصيته التي تقمصها وخرج بها على الناس في «المسرح الوطني»، والتي كانت بدايتها مسرحية «شوشو بك في صوفر»...

ويتابع الكلام:

□ وماذا عن شوشو والمسرح؟

ـ في هذه الفترة لم يكتمل مشوار شوشو مع التلفزيون، كان ينقصه الكتّاب، لم يكن يوجد كاتب كوميدي ينافس محمد شامل لكي يكتب لشوشو أعمالاً تلفزيونية يستطيع الاستمرار بها... وهكذا وجد نفسه في ضيق كبير، ولم أكن أنا قد بدأت بعد أمارس الكتابة التلفزيونية، اللهم إلاّ تمثيلية واحدة مثلها حين كان مستقلاً عن عمه... كانا يكملان بعضهما وحين افترقا خسرا معاً...

ويتابع وجيه رضوان حديثه:

ـ هنا بدأت تخامر شوشو فكرة تأسيس مسرح يومي، ولقد كان منذ طفولته يعيش هذا الحلم، كما كان يفعل نجيب الريحاني، ولقد كان شديد التأثر به، رغم أنه لم يكن على صورته ومساره، بل كان نقيض الريحاني تماماً...

□ من أية ناحية؟

ـ من الناحية الفنية، الريحاني ممثل كوميدي وهو ممثل هزلي وهنا يجب أن نميز بين المعنيَيْن...

□ ألا ترى أن هناك قاسماً مشتركاً بين الريحاني وشوشو باعتبار أن الأول رغم ممارسته الكوميديا كانت تجتذبه أيضاً الأعمال الدرامية، وهذا ما حدث لشوشو



شوشو ومارسيل مارينا في مسرحية «حب تحت الصفر»...

في المسلسل التلفزيوني الدرامي «المشوار الطويل»؟

ـ نعم، ولكن كان الريحاني كاتباً كوميدياً ملتزماً، ولم يكن هو الذي يدير الضحك في مسرحه، كان الآخرون أيضاً هم الذين يثيرون الضحك في حين أن شوشو لم يكن مسرحه ملتزماً وإنما كان هزلياً بصورة كاملة...

ويمضي الكلام:

ـ نعود إلى فكرة المسرح، كان يمر شوشو بالصدفة من أمام صالة سينما «شهرزاد» فوجد بالصدفة أيضاً مديرها ومدير صالة سينما «دنيا» أنطوان الشويري يقف عند مدخل السينما فتوقف شوشو وسأله: هل تؤجرني هذه الصالة؟ قال له: لماذا؟ قال شوشو: أريد أن أجعل منها مسرحاً... قال الشويري: أنا جاهز، تعال متى شئت... وصعق شوشو من الجواب إذ لم يكن يتوقع أن يوافق مدير الصالة على تأجيره إياها بهذه السهولة... وفي اليوم الثاني جاءني شوشو إلى مقهى «الحاوي» وقال لي: لقد جاءت ليلة القدر... قلت: كيف؟ قال: اتفقت مع أنطوان الشويري على تحويل سينما «شهرزاد» إلى مسرح... قلت: ولكن من أين لك المال؟ ومن أين لك الممثلين؟ ومن أين المخرج؟ ومن أين الكاتب؟ إن عملية المسرح مكلفة وباهظة وشاقة ومغامرة جنونية في بلد كلبنان لا يوجد فيه مسرح. وسألته: هل تريده مسرحاً موسمياً؟ أجاب: لا... مسرح يومي. قلت: ومسرح يومي أيضاً، أي أن الصعوبات والعقبات تتضاعف. قال: إنها مغامرة وأنا أحب المغامرة. إنني مجنون وسأواصل جنوني. قلت: إذاً توكّل على الله. قال: ولكن من أين المخرج ومن أين الكاتب؟ قلت: عدت إلى كلامي. قال: عدت... قلت: الكاتب والمخرج موجودان. قال من هما؟ قلت: إنه نزار ميقاتي. قال: خذني إليه.

ميخائيل نعيمة بين نزار ميقاتي ووجيه رضوان وحلمي



وأذكر قبلاً أنني كنت في منزل

١٤ بيروت

أول مسرح يومي في تاريخ لبنان

المرحوم نزار ميقاتي، وكان صديقاً عزيزاً لي، وكنا نشاهد حلقة من حلقات البرنامج التلفزيوني «يا مدير»، ولم يكن نزار يعرف شوشو معرفة شخصية. لاحظت أن نزار يتأمل هذا الممثل الذي يشخّص على الشاشة بشخصية الطفل العبيط. قلت له: ما بك؟ قال لي: هذا الفتى إذا أعطي الفرصة المناسبة يمكن أن يكون نجماً كوميدياً مهماً... وسكت ولم أعلق على كلامه... ومضت الأيام إلى أن جاءني شوشو ليبلغني أنه قرر أن ينشئ مسرحاً يومياً.. أخذته إلى نزار ميقاتي وعرضته عليه ونزلنا جميعاً إلى ساحة البرج وناقشنا موضوع فكرة المسرح مع صاحب الصالة المهندس هنري شقير ومديرها أنطوان الشويري، وتمّ الاتفاق على أن يتولى شقير والشويري إعادة ترميم الصالة وتهيئتها بصورة جيدة لتصبح مسرحاً، على أن يتولى فريقنا نحن تجهيز المسرح والممثلين وسائر العناصر اللازمة لقيام مسرح تمثيلي... وصعدنا في الليل إلى منطقة «الروشة»... جلسنا في مقهى «نصر» وتوزعنا في صلاحيات المسرح والحصص على أن يكون لشوشو أربعون في المئة ولنزار أربعون في المئة ولي عشرون في المئة...

ويسترسل وجيه رضوان في حديثه قائلاً:

ـ تسألني من أين المال وكنا ثلاثتنا لا نملك قرشاً واحداً... وبما أنني كنت موظفاً في الإذاعة اللبنانية فلقد ذهبت إلى بنك يدعى «بنك الاعتماد الشعبي» في مبنى «بيبلوس» في ساحة الشهداء، وحصلت على مبلغ خمسة آلاف ليرة كقرض يدفع شهرياً ولمدة سنتين وبهذا المبلغ أنشأنا يا سيدي «المسرح الوطني»، وكانت المسرحية الأولى هي «شوشو بك في صوفر» المقتبسة عن مسرحية «رحلة السيد كيرشون» لكاتب إفرنسي يدعى أوجين لابيش. وهنا أريد أن أقول إن نزار ميقاتي كان قد درس التمثيل لفترة في معاهد روما قبل الحرب العالمية الثانية، وكان مدرساً في معهد «الفرير» في طرابلس، وأنشأ هناك نواة نهضة تمثيلية، وهناك كثيرون من الممثلين الطرابلسيين الذين توزعوا في مرافق الفن كانوا من تلامذته. كان واسع الثقافة، شديد الاطلاع على المسرح العالمي والسينما، وكان متأثراً بالمخرج العبقري الإيطالي فيتوريو دي سيكا، وكان يملك ذوقاً فريداً من نوعه... ولعل الأناقة إحدى أسرار نجاح هذا المسرح... وبدأنا العمل وسط تهكمات الآخرين والأخريات ضمن

مقهى لاروندا ونادي الشرق يوم أقفلت ساحة البرج



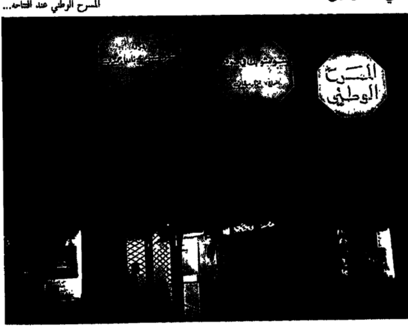
بيروت في البال

توقعات تقول سيعملون أسبوعاً وينتهي بهم الأمر إلى الإفلاس والسجن...

ويمضي وجيه رضوان قائلاً:

- توليت أنا الدعاية والتمهيد لظهور هذا المسرح التاريخي في لبنان، وأقول التاريخي لأنه بالمعنى الفني والعلمي هو أول مسرح يومي في تاريخ لبنان... وكانوا ينسبون اسم المسرح إلى شوشو تماماً كما كان يقال هذا مسرح الريحاني... ونجحت في استقطاب الصحافيين إلى المسرح - وأنت منهم - إذ كانوا يعتبرونها خطوة حضارية... ولقد خصصت جريدة «النهار»، وكانت تصدر ملحقاً يشرف عليه الصديق الشاعر الكبير الأستاذ أنسي الحاج، وكان هذا الملحق هو إحدى المنشورات الأسبوعية ذات القيمة الكبرى في الصحافة اللبنانية، وأدهشني أنسي الحاج حينما أعطاني مكافأة بأن وضع صورة شوشو بالألوان على غلاف الملحق، وهذه وحدها تكفي لكي تجعل من مسرح شوشو حدثاً حضارياً فريداً من نوعه، هذا بالإضافة إلى جهود الآخرين...

طبعنا بطاقات الدعوة للافتتاح بتاريخ الحادي عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) العام ١٩٦٥، وذهبت في المغامرة إلى الحد أن دعوت كبار السياسيين والمسؤولين وشخصيات المجتمع اللبناني، وكنت مذعوراً من هذه الدعوات لأنني كنت على ثقة من أن أحداً منهم لن يأتي ليتفرج على شوشو الشخص العبيط الذي كان يمثل في برنامج «يا مدير»... لكن صالة «شهرزاد» كانت قد انقلبت وتحولت إلى صالة أنيقة وفخمة تتصدرها صورة لشوشو باللباس الأنيق والعصا والطربوش، كانت وحدها كافية لكي تلفت النظر... كان كل شيء من حول المسرح مضيئاً وأنيقاً. وانتظرنا الساعة الثامنة موعد افتتاح المسرح وقدوم الحضور... عشنا على أعصابنا ثلاث



المسرح الوطني عند افتتاحه...

١٤ بيروت

من دور «العبيط» الى دور «جنتلمان»

ساعات متواصلة من الخامسة حتى الثامنة، أي حتى انتهت البروفة النهائية ليبدأ تقديم المسرحية...

وبدأت تصل السيارات الفخمة ويغادرها رؤساء جمهورية سابقون ورؤساء وزراء سابقون ورؤساء مجلس نواب سابقون ووزراء ونواب مع زوجاتهم. كل الذين دعوناهم جاؤوا وحضروا الافتتاح، وكان بين المدعوين الكاتب والشاعر باللغة الفرنسية الفنان الشهير جورج شحادة. كنت حريصاً أن يكون جورج شحادة في حفلة الافتتاح الأولى ليرى شوشو ويحكم عليه وبالتالي لكي يحكم على مسرحنا... ورفعت الستارة وفوجيء الناس بديكور هو الأول من نوعه يمثل محطة قطار في العهد العثماني والناس يروحون ويجيئون باللباس الأنيق... وضجت الصالة بالتصفيق وأكل شوشو وراح يمثل دوره فإذا بالتصفيق يزداد ويمتزج بالضحك وفي نهاية المسرحية طلب جورج شحادة مقابلة شوشو وتهنئته على عبقريته، بل إنه طلب منه أن يرافقه إلى فرنسا للدراسة الفنية ومن ثم للعمل، ولكن شوشو شكره من الأعماق فهذا حلم حياته يتحقق في بيروت...

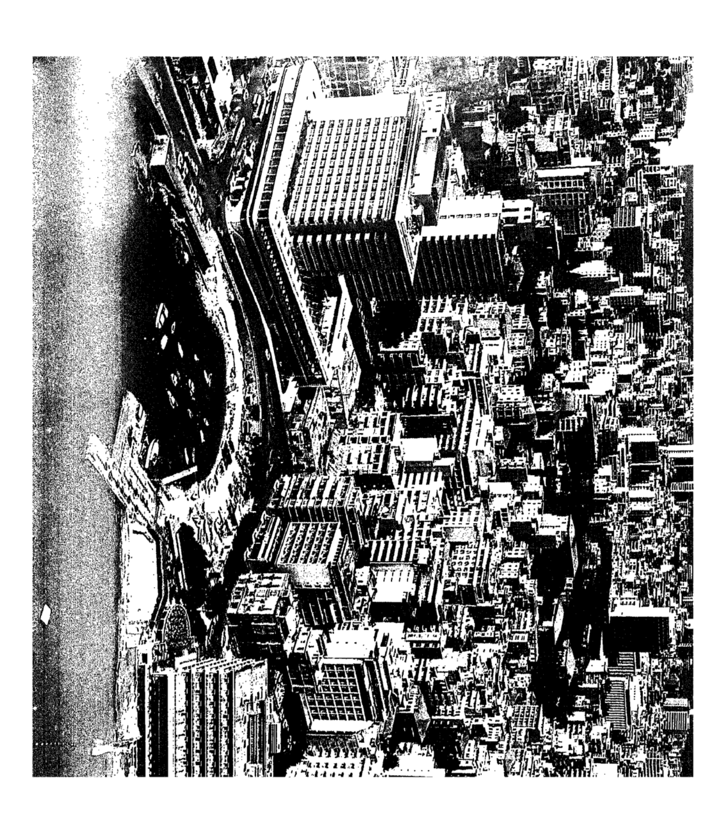
□ وكم بلغ عدد المسرحيات التي قدمها شوشو؟

ـ المسرح الوطني «نشأ في تشرين الثاني ١٩٦٥ ومات في تشرين الثاني ١٩٧٥» مع اندلاع الحرب اللبنانية وبلغ عدد المسرحيات التي قدمها ٢٤ مسرحية...

شوشو يرقص في ملهى «بلواب» وكيفام يصفق له

الصف الأمامي في احدى مسرحيات شوشو ويبدو الممثل حسين رياض وفاتن حمامة ولبنى عبد العزيز ومديحة يسري





بيروت ١٥

حوّل صالة الأمير من سينما الى مسرح

خاب أمله بالممثلين لأنهم يقدمون التجارة على الفن

هدم المسرح الضخم وحوّله إلى حطب يتدفأ عليه في ليالي الشتاء

هجم بعض الممثلين على شباك التذاكر بغية الحصول على أجورهم مسبقاً

يعتبر مسرح «الأمير» هو المسرح الثاني الذي أقيم بعد مسرح شوشو، وكان عبارة عن صالة سينمائية في الأساس تحمل الاسم ذاته... وقد استملك هذا المسرح عمر قرمان (من مواليد ١٩٢٨) الذي هجّرته نكبة العام ١٩٤٨ من فلسطين فسكن في صور لمدة عام ثم جاء إلى بيروت ليعمل في ميدان التجارة ثم في توزيع الأفلام السينمائية وإنتاجها إلى أن توقف عند المسرح...

يقول عمر قرمان:

ـ من خلال عملي في السينما كنت ألمح خيط أمل ينسج حول المسرح فاتجهت لمقابلة السيد موني عسيلي نجل ألفرد عسيلي الذي كان يمتلك صالتين سينمائيتين هما الـ «كابيتول» و «الأمير»، بينما كان شقيقه الآخر شارل يعمل على إدارة مصرف في المبنى ذاته. قابلت موني وعرضت عليه الفكرة فرحّب بها كثيراً... وافتتحنا المسرح بمسرحية لسعد الدين بقدونس وفريال كريم وميشال ثابت وإخراج باسم نصر، ولكن العمل لم يكن على مستوى النجاح المطلوب فاتجهت إلى محمد شامل وطلبت منه أن يعد لنا عملاً لا غبار عليه فكتب مسرحية «علية أبو المجد»، وقد غصت ليلة الافتتاح بعديد من الشخصيات...

□ وماذا عن مضمون «عيلة أبو المجد»؟

ـ هي مسرحية اقتبسها محمد شامل ولبننها، وهي عائلة كل من فيها يغني على ليلاه، كانت الزوجة في واد، والابنة في واد آخر وكذلك الجد وإلى ما هنالك من شخصيات... وقد ضممت إليها «أبو الفهم» في دور الفتى المدلل، و «أبو سليم» في دور مفتش الضرائب... واستقدمت بعدئذٍ «مسرح العرائس» الذي جئت به من مصر فعمل لمدة شهر، وبينما كنت أحضر لمسرحية جديدة وقعت في عجز مادي لاحت من خلاله فكرة إقفال المسرح لأن أخواننا الفنانين لم يبدوا أي تعاون معنا...

عمر قرمان، استثمر مسرح «الأمير» وعمل مع شوشو...



فعقدت اجتماعاً طرحت خلاله واقع المسرح قائلاً: «يا أخوان أنا ضحيت وبنيت هذا المسرح، ولكن يداً واحدة لا تصفق فتعالوا نتعاون معاً، ولكنهم لم يبدوا تجاوباً... وفي جلسة ثانية، وكان مطلوباً أن تحسم المواقف، خاطبتهم طالباً أن يتكرموا بحسم بعض الأموال من أجر كل منهم فانبروا جميعهم بالرفض، وهنا وقعت لكل ممثل على شيك خاص به، وكلها شيكات بتاريخ واحد وباع الممثلون هذه الشيكات إلى محل صيرفة يعرف باسم محل «أبو عفيف قصابية» بجوار المسرح وهم يمنون النفس بأن الصراف لن يقبض أي قرش، ولكن أبا عفيف كان يعرف مدى نظافة اسمي فقبض الأموال كلها بتاريخ واحد، في وقت واحد كان قد اشترى تلك الشيكات بنصف ثمنها...

ويضيف عمر قرمان قائلاً:

- بعد هذا الموقف هدمت المسرح، فدار السينما لم تكن مؤهلة لتكون مسرحاً إلاّ بعد إضافة ألواح من الخشب إليها، وهذا ما جعلني أبني مسرحاً ضخماً... وقد كلفني المسرح حوالى عشرة آلاف ليرة لبنانية كنت بثمنها يمكن أن تشتري شقة... هدمت المسرح وحولته إلى حطب نتدفأ عليه في ليالي الشتاء وسافرت إلى دبي. شبح الإفلاس يواجهني كيفما تلفت، والحيرة تنتابني كيفما فكرت.

□ ولكن كيف تطور مسرح الأمير بعدئذٍ؟

- الحقيقة تسلمه السيد موني، وجيء بيوسف وهبي إليه، ولم أعد أذكر اسم المتعهد الذي استقطبه إلى بيروت...

□ ولكن قيل وقتها أن يوسف وهبي لم يستطع أن يحقق النجاح المطلوب؟

- بل قل إنه فشل فشلاً ذريعاً في استقطاب الناس إليه... وطبعاً لذلك أسباب واضحة، فنجاح يوسف وهبي لا يناقش، ولكن الناس لم يكونوا قد اعتادوا على الذهاب إلى المسرح كما هو شأنهم في الإقبال على السينما... وهناك نقطة ثانية وأنا أؤمن بها كل الإيمان، وهي أنني عندما حوّلت سينما «أمير» إلى مسرح أصابته العين الحاسدة ومَن؟ من شخص يدّعي صداقتي...

□ وهل عمل أحد في المسرح بعد يوسف وهبي وفرقته؟

علي العريس مع يوسف وهبي أثناء تقديم دراسبوتين» في بيروت



١٥ بيروت

مسرح «الأمير» أصابته العين الحاسدة

ـ لا... ولكن الشيء الذي أذكره أنه قبل تأسيس مسرح «الأمير» جاءت فرقة الريحاني فعملت في الصالة الثانية التي تعرف باسم «كابيتول» إلى جانب عدد من المسرحيات لم أعد أذكرها... وأذكر أيضاً أنه جيء بفؤاد المهندس إلى مسرح صيفي يقع بين عاليه وبحمدون هو المدرج، وصادف أن كان الطقس بارداً فلم يوفق... زرته في بيروت ودعوته لمشاهدة مسرح «الأمير» فلبى الدعوة على أن يقدم عملاً من أعماله على خشبته في المستقبل فأبدى استعداده لذلك، وحين شاهد اتساع المكان وتجهيز محتوياته أبدى أسفه بالقول: عندكم مثل هذا المسرح وتتفقون معي على تقديم مسرحياتي على مسرح صيفي؟!

□ بماذا خرجت من تجربة إنشاء مسرح؟

ـ خرجت بنتيجة واضحة وهي أنني كنت كبش المحرقة، ولست نادماً على ذلك، فبعد مسرح شوشو والأمير ازداد إنشاء عدد المسارح

ولعل الملاحظة التي يمكن تسجيلها أن روح التجارة تسيطر على بعض الفنانين عندنا، فالفن عند هؤلاء البعض يعني المال، وليس كما هي روح الفنان منغمسة بالعطاء

□ وكيف واصلت العمل؟

ـ زارني شوشو مبدياً استعداده لأن نعمل معاً، أي أن أضم خبرتي إلى خبرته المسرحية ونقوم بتقديم أعمال مسرحية في عدد من البلدان العربية... فأجبته بالإيجاب، وأعلنت له رغبتي في العمل معه ليس من أجل المال بل من أجل رفع معنويات الفنان وعملت معه كإداري... وبينما كنا نعدّ لرحلة إلى الأردن أصيب بالقلب ونقل إلى مستشفى «البربير» وأمضى بعض الوقت فيه إلى أن سمح له الطبيب بمغادرته. وهنا تذكر شوشو تحضيره مسلسل مع نيللي فبعث إليّ شخصاً من قبله يطلب مقابلتي. قلت له: لقد كنت في المستشفى منذ نصف ساعة. قال: هذا ما بلغني به شوشو، اتجهت إلى



«ابو سليم» وأحمد بديعة في مسرحية «عيلة ابو المجد»...

المستشفى وإذا به يحدثني عن هذا المسلسل وعن حاجته لمبلغ أربعة آلاف جنيه، بعد أن سمح له الطبيب بالسفر إلى القاهرة لمدة يومين أو ثلاثة، ومن ثم يجيء إلى بيروت ليسافر إلى الأردن... كانت زوجته شاهدة على الحديث. وفي وقت كان يتخوف فيه البعض من وضع شوشو المصاب بالقلب جئت بالمبلغ ووضعته على سريره في المستشفى، واتفقنا على أن يسافر هو إلى القاهرة وأنا إلى عمان... وسافرنا كل في اتجاه إلى أن جاء إلى الأردن وقام بإحياء عدة حفلات، وما إن عدنا إلى بيروت حتى أخبروني بعد أيام نبأ موته، وكنت بصدد رحلة فنية إلى الكويت... وأنا أفخر بأن آخر أيام شوشو أمضاها معي...

وكان لا بد أن أقول للحاج عمر قرمان:

□ احترق مسرح شوشو كما احترق مسرح الأمير، وأصبح الاثنان ذكرى، ماذا تذكر عن بيروت؟

ـ بيروت بعد الحرب قلبت رأساً على عقب... كانت بيروت قبل أي شيء تكمن في جمالها الطبيعي... كنت تغادر منزلك فترى المحل البسيط، الترومواي، المطعم، الناس، حتى أن الأحاديث أصبحت غيرها. من الطبيعي أن يبقى الإنسان ذاته ولكن الهموم المستجدة ألغت صورة الأمس. وبيروت لم تكن للبيروتيين كما أراها بل كانت للسياح، هي أشبه بمثل يمهد لدخول ممثل آخر أو إلقاء طرفة ما... أنا أعرف الكثيرين ممن لم يكونوا يعرفون الجبل... والواقع أن بيروت كانت بيتاً للجميع، ومهما تصورنا الماضي لا نطاوله...

مارون كرم، نجيب حنكش وجورج جرداق وغيرهم يصفقون...



بيروت ١٦

فريد فرهود كولونيل بدير «الدبلومات»

كان «الدبلومات» واحة صغيرة يملكها فإذا به يتحول إلى «سوبرماكت»

يحلم بالولايات المتحدة العربية أما لقب «كولونيل» فقد حازه من أميركا

لو كانت الساعة تشير إلى الثانية ليلاً لم يكن يحدث ما يربك الساهر

اللبناني أقوى من المحنة وأقوى من الحرب

كانت منطقة «الروشة» ولم تزل متنفساً لأهالي بيروت، ففي أيام العطل تزدحم بالناس الذين يقصدونها للراحة والتأمل، وفي الأيام العادية لا تخلو من روادها الذين يحرصون على التردد إلى مقاهيها ومطاعمها وأنديتها...

ولقد كانت «الروشة» تزدحم بالمقاهي والمطاعم التي أقفل عدد منها مع بدء الحرب وأولها «الدبلومات» الذي أغلق أبوابه قبل الحرب فتحول إلى مطعم ثم إلى محل للبيع والشراء (سوبرماكت).

وفي الحديث عن أمجاد «الدبلومات» كان لا بد من لقاء صاحبه «الكولونيل» فريد فرهود (من مواليد مرجعيون ١٩٢٤) فسألته: ومن أين جاء لقبك «كولونيل»؟

ـ هذا لقب حزته من الولايات المتحدة الأميركية، ومن ولاية أكلوهوما بالتحديد، لكثرة المآدب التي أقمتها على شرف المغتربين، وهو لقب فخري يأتي عندي أهم من اللقب الفعلي...

□ ولماذا افتتحت «الدبلومات» في منطقة «الروشة»؟

ـ لأن المنطقة كانت خالية تقريباً من المقاهي والمطاعم، وكانت المضيفات فيها أوانس... ولم أختر مكاناً لهذا المقهى والمطعم في شارع الحمراء لأنها كانت منطقة «ميتة» في ذاك الوقت بينما «الروشة»

باتيسري «الدبلومات» صار مطعماً للوجبات السريعة



بيروت في البال

عبارة عن منظر جميل، هناك البحر واتساع رحابة المكان إلخ...

□ ألم تكن المضيفات يقعن في مشاكل مع الرواد؟

- أبداً ... فقد كان الرواد من الطبقة الراقية. كما كان المكان يعج بالسياسيين والشخصيات والضباط إلخ...

□ وما هي المدة الزمنية التي صرفتها من حياتك كصاحب لـ «الدبلومات»؟

- افتتحت المقهى في العام ١٩٥٩، وتخليت عنه في العام ١٩٧٥، أي ستة عشر عاماً...

□ وماذا عن رواده من السياسيين؟

- كان يرتاد «الدبلومات» الرئيس صائب سلام، والرئيس سليمان فرنجية وشقيقه حميد بك، كانت تؤمه شخصيات عديدة... ومن قوات الجيش كان يأتي كثيرون...

□ ومن الفنانين من كان يأتي؟

- فنانون؟ أوه... كان المكان يعج بهم. أنا موضع حب من الفنانين بدءاً من وديع الصافي، مروراً بمحمد سلمان، وانتهاء بأي فنان صاعد...

□ وكيف تختصر الحياة الاجتماعية في بيروت قبل الحرب من خلال «الدبلومات»؟

- بيروت قبل الحرب عبارة عن عالم، فتيات، شبان، حرية... تشير الساعة إلى الثانية ليلاً مثلاً فلا يحدث ما يربك الساهر أو الساهرة، كانت بيروت عبارة عن بلد لا ينام، مشكلة الأمن لم تكن مطروحة في يوم من الأيام، كانت بعض البرامج تتم على هذه الصورة، تأتي مجموعة الساهرين إلى «الدبلومات» فيقضون من الوقت ما يشاؤون ثم يتجهون إلى مطعم «السلطان إبراهيم» فيتمشون ومن ثم إلى «الكازينو»... وكنا نسمي «الكازينو» بكازينو العرس نسبة إلى أناقة الساهرين والساهرات... ومن «الكازينو» كنا نتجه إلى ملاهي الزيتونة

ساحة الشهداء فور انتهاء الحرب تحولت لفترة وجيزة الى مقهى شعبي



١٦ بيروت

أول مقهى في الروشة تخدمه الآنسات

إلى أن يطلع النهار وتستعد هذه المرافق للإقفال كـ «كيت كات»، «عجرم» و «البارون روج»...

□ يوم كان «الدبلومات» في عزه، أي الأمكنة كانت تواجهه؟

ـ كان هناك ولم يزل مطعم ومقهى «نصر» و«دبيبو» ثم افتتح بالقرب من مطعمنا مطعم «الشنكريلا» و«نادي عصام» الذي كان شراكة بين عصام رجي وعلي بيضون...

□ ولكن كان هناك مقهى ومطعم «الدولتشي فيتا»؟

ـ لا، بعدنا بأربع أو بخمس سنين تقريباً افتتح مقهى «الدولتشي فيتا» ومطعم الـ «يلدزلار» ريثما انتهى بناء العمارة...

ويأخذ الحديث منحى آخر فأقول لـ «الكولونيل»:

□ ماذا عن علاقتك بالفنانين والفنانات؟

ـ أنا أحب المعشر الحلو واللقاء المحبب، مرة اتصلت تلفونياً بصباح أدعوها لتناول العشاء في «الدبلومات» والسهر في «نادي عصام» فجاءت هي وشقيقتها سعاد وأمضينا ليلة لا تنسى ساد فيها الفرح كل الحاضرين... وكذلك سميرة توفيق التي عرّفتني إليها الإذاعية عبلا خوري... وحدث وهي تمثل فيلماً أن وقعت من فوق صخرة فنقلت إلى المستشفى وقمت يومها بواجب الزيارة فأرسلت إليها سلة ورد كبيرة، ورحت أرفع من معنوياتها.

□ وكيف كان عنوان السهر يتمثل في ذاك الوقت؟

ـ كانت الآنسة اللبنانية تسهر حتى الرابعة أو الخامسة صباحاً وتعود إلى بيتها دون أن يضايقها أحد، موضوع الأمن كما أشرت قبلاً لم يكن مطروحاً بالنسبة إلى بيروت...

ـ في العام ١٩٦٤ دعوت ملكات الجمال إلى محلي، وطبعت لكل ملكة صورة مكبرة كتذكار من لبنان، وعملت لهن أساور من فضة وذهب وطبعت الأرزة على كل إسوارة، ويومها ازدحم المكان بالشخصيات الاجتماعية وسيداته...

□ أذكر أن مطعم «سندباد» كان يجاور «الدبلومات»؟

ـ الـ «سندباد» في فترة من الفترات كان لنا ثم بعناه إلى خالد حماده...

الكولونيل فريد فرهود مع إحدى ملكات جمال أوروبا...

بيروت في البال

□ وهل كنت تتصور أن بيروت يمكن أن تتعرض لما تعرضت له حيث الحرب دمرت الكثير من المعالم؟

ـ ليس هناك من يمكنه تخيّل ما حدث حتى ولو كان عدواً... بيروت بلد مضياف كان يفتح ذراعيه لكل قادم وزائر وسائح، فهو مركز أعمال إذا جئت تبحث عن الأعمال، وهو مكان خصب يعج بألوان الجمال إذا جئت كزائر همه الجمال، وهو بلد يأخذ بمجامع القلوب إذا كنت سائحاً، وهو في الواقع للبنانيين والعرب والأجانب تجد فيه كل ما تبحث عنه... ولكن على ما يبدو أن كل هذه المزايا لا نستحقها فحرمنا الله منها...

□ وما هي الصورة التي ترسمها للبنان الجديد؟

ـ أرجو إذا ما تمّ السلام ولقد تمّ أن يعود الأمن فيرفرف فوق الوطن. إن الأمن لو تحقق على كافة الأراضي اللبنانية فلا بد أن ينعم لبنان بخيرات عديدة... ومن خلال نظرة عابرة إلى اللبناني الذي كابد الحرب سنوات وسنوات ترى أنه لم يهزم، وثمة ملاحظة غريبة بعض الشيء، ففي بعض الأيام كان يشتعل الوضع ويتم تبادل القذائف ليلاً، ومع ساعات الصباح الأولى ترى اللبنانيين يتحركون إلى العمل والحياة والطموح وكأن شيئاً لم يكن البارحة أو ليل اليوم الذي أطل... ومن خلال هذه الملاحظة تدرك أن اللبناني أقوى من المحنة، وأقوى مما حفلت به الحرب، وأقوى من أية مفاجأة يمكن أن يدبرها أعداء لبنان في الخفاء...


في المنزل مع زوجته...

لقد تحدثنا كثيراً، أما الامنية التي ارجوها فهي ان يعود لبنان الى سابق عهده وينهض من محنته وكبوته، إنه والحالة هذه سيعود ليضاهي أجمل البلدان لانه أكثرها جمالاً وتفرداً وتنوعاً ونبضاً إنسانياً لا يضاهيه نبض...

□ باعتبارك كنت صاحب مقهى ومطعم ما هو جواز المرور إلى مقهى ومطعم وتفضيله على مطاعم الآخرين؟

ـ حسن الضيافة أولاً وإلى حد يشعر فيه الشخص أنه في منزله تقريباً، أي طلب يطلبه يتحقق، وأي رغبة يشتهيها تتم، طبعاً كل هذا ضمن العرف المتبادل بين مقهى وبين شخص يرتاده...

بيروت ١٧

زهير السعداوي عميد جمعية الندامى

ألف جمعية الندامى في «الدولتشي فيتا» وكان من أهم شروطها الاستماع الى أم كلثوم

يعتبر نفسه عاش ألف سنة لكثرة ما مر عليه من تقلبات عاشها جيله

كل الذين كانوا يأتون من الشباب اللبناني إما هاربون من حزب أو عندهم خيبة أمل

يوم حقق المخرج الإيطالي فدريكو فيلليني فيلمه الشهير «الدولتشي فيتا» (الحياة اللذيذة) من بطولة أنيتا إيكبرغ ومارشيللو ماستروياني لم يكن أحد يعتقد أن هذا الاسم سينقل إلى مقهى ومطعم في منطقة «الروشة»...

إن «الدولتشي فيتا»، المقهى وليس الفيلم، قطعة من تاريخ الفرح والسهر والحنين في منطقة «الروشة»، فيه التقى أهل الفن وأهل المجتمع، وفيه تحاورت عقائد وتصارعت نظريات، وإليه لجأ رؤساء وزعماء، ولو نطقت جدرانه وباحت بالأسرار التي أفشيت فيه لحدثت أكثر من أزمة في حينه!!!

قابلت الحاج في مقهى شعبي يطل على البحر بعد أن «هجرته» الحرب بدورها وبحضور صديق عمل سفيراً للبنان في أحد البلدان ذات فترة، وشاء أن لا يظهر في «كادر ـ الصورة» ولا يشارك في الحديث إلاّ عندما تدعو الحاجة...

وحين تذكر اسم «الدولتشي فيتا» لا بد أن يقترن المكان باسم الحاج زهير السعداوي الصحافي الظريف الذي لا يدع فقرة تمر إلاّ و«يلغمها» بضحكة، أو على الأقل بابتسامة عابرة ذات مغزى، والذي ألّف جمعية «الندامى» فضم إليها عدداً من الزملاء والأسماء المتداولة وكان من أهم شروط عضويتها أن يكون «النديم» من أنصار أم كلثوم وعشاق صوتها... بالاضافة الى خفة الظل والانفتاح الثقافي والاجتماعي.

قلت للحاج زهير:

□ أخبرنا من أية منطقة أنت ومن مواليد أية سنة؟

ويضحك الحاج زهير ملء أعماقه ويقول بلهجته المحببة:

كان «قاهي» مصور «الذوات» في بيروت والحاج زهير كان... «قاهر قلوب العذارى» فاستحق هذه الصورة

ـ هيك من الأول، الهيئة ما حتتجلى معنا أبداً.

ثم يطلب من الجرسون صحن سيجارة ويتابع:

□ ما في واحد إلا ما نزل عمرو... العمر كله... تكفينا الحرب، لقد «طلعت» عمرنا عالعالي على الأقل عشرين سنة...

□ ايه حاج، من مواليد أيا سنة؟

□ إذا بدك العمر، عمرنا ألف سنة...

□ الف سنة؟

ـ إيه بما مر علينا وبما شفناه من حوادث وقصص (عم تسجل؟) ألف سنة لأنه ما مر على حدا مثل ما مر علينا من تقلبات وكوارث ونكسات وخيبات أمل وإحباط مثل جيلنا...

ويتوقف الحاج قليلاً عن الكلام ثم يتابع:

ـ إذا كان حديثنا عن «الدولتشي فيتا» فإن «الدولتشي فيتا» كانت بالنسبة إلينا بمثابة الهروب، نوع من العزلة، نوع من التعويض (Compensation) حلوة هيدي (Compensation)، أي تعويض... كل الذين كانوا يأتون من الشباب اللبناني كانوا إما هاربين من حزب، أو عندهم خيبة أمل لتجربة سياسية... يا عندهم كذا... وجدوها الملجأ... في فترة ما قبل الستينات كانوا يتلهون بالقصائد وكانوا يجتمعون عند فيصل، مطعم فيصل الشهير... هيدا داخل بحزب فرحان فيه، وهيدا تحت شعار مبسوط فيه إلخ... ثم أحسوا بالإحباط، كل الجلساء كان لهم تجارب حزبية وتجارب بالعمل العام... مرة «زركونا»... قلنا لهم يا جماعة نحنا بيننا وبين «الروشة» كم متر... لا تزركونا... أيامه... كانوا يرسلون إلينا مخبرين، عرفت كيف؟! كنا نرى الجلسة تكبر، كل واحد يأتي ويقول: «السلام عليكم» ويجلس... تطلعنا إلى «الندامى» فوجدناهم يتغيبون، كل جمعة وأحد يغيب، ثاني جمعة يغيب ثاني... ييه... أتاريهم عم يتصفوا... أتاري الجماعة عاملين لهم مطب. عملت جلسة عامة: يا جماعة، يا أخوان، نحن ندامى هون... هربانين وعم نتسلى ومنحكي شوية كلام فاضي، لا نؤذي أحداً... منترجاكم كلنا ندامى شفهيين... اللي بيحس حالو نديم تحريري يفرقنا بريحة طيبة...

الحاج زهير مع مرسيل حرو بعد انتخابها ملكة جمال لبنان



بيروت ١٧

الدولتشي فيتا استقطب رواد مطعم فيصل

ومرة كنت جالساً أنا وميشال أبو جودة فقلت له: تعا نخرب بيت هالمخبر وصرنا نحكي كلام في الفلسفة ما وراء الطبيعة... ونخلط الأشياء ببعضها البعض... كلام له أول وليس له آخر فكانت تجربة! معبرة. وذلك أنه عندما سألنا في الغد عن المخبر قيل لنا «خرب بيته» فقد قدم الى رئيسه تقريراً لم يفهم شيئاً من مضمونه العويص. فما كان من رئيسه الى ان وبخه ثم صرفه من الخدمة.

□ في أي عام افتتح مقهى «الدولتشي فيتا»؟

ـ في الستينات ما هيك؟

□ قبلها كنا نلتقي بمطعم فيصل و«الأنكل سام»... وفي الحمراء في «الهورس شو» و«النغر سكو»... وعالروشة في «نصر» و«الغلاييني» و«دبيبو»...

□ من هو صاحب «الدولتشي فيتا»؟

ـ والله حاكيتو وسألتو عن الصور؟ البناية لسوبرة والمحل لسيف الدين الخوجا... سوري ساكن بلبنان وله شريك يدعى طوني عيروت وعبد المعطي شاهين طرابلسي أصله حلبي... لا أعرف في الأول من زحف، طفش... ولكني أعرف أنه كان تكملة لفيصل... هيداك نهاري، وهيدا ليلي... ومحلات هذا النوع ظاهرة غريبة، السبب الأول افتقار بيروت إلى الأندية... أندية اجتماعية وثقافية تستقبل الناس والمثقفين... لذلك كان إقبال الناس على المطاعم، على محلات «الروشة»... والناس بتجر الناس... مثل «الماندرين» اليوم... كان الفنانون المصريون يأتون إلى «الدولتشي فيتا». بدهم يشوفوا الصحافيين وين بيشوفوهم؟... جاء كل الفنانين المصريين والمخرجين. كلهم شفناهم...



في «الدولتشي فيتا» من اليمين الى اليسار: فريد الخطيب، الحاج زهير السعداوي، شقيقه سهيل، مصطفى الجندي وشفيق قزعون.

□ قلت لك مرة اليوم استمعت إلى أم كلثوم. سألتني على أسطوانة: أجبت بالإيجاب. قلت يومها: الأسطوانة لا تنفع، إذا لم يكن هناك آه وإيه ودب وليه ما بتنفع...

ـ قولك هيك؟ مناحة ما بيصيرا

□ حاج كيف جاء اسم الجمعية ومن هم أعضاؤها؟

ـ الجمعية وهمية... الناس الذين يأتون... اسمها ندامى ولكن ليس معنى ذلك أن الكل بيشربوا... هي لو كانت سمار لكانت أحسن... وهي ليست لها قوانين وأنظمة وبرامج وأيديولوجيات... نحن هربانين من هالشغلات والاشكالات

ومن هم الأعضاء البارزون، أنا أذكر ذو الفقار قبيسي مثلاً، وفريد الخطيب؟

ـ هناك أيضاً إبراهيم سلامة، ومنح بك (أي المفكر منح الصلح) كثيرون كانوا والوافدين كانوا أكثر... من هذا الموقع كانت «الدولتشي فيتا» تخوف... أخذ وعطاء... وبعض النافذين كانوا يخافون من الأخذ والعطاء... وخصوصاً العطاءا

□ هناك طرفة تقول في كل بلدان العالم عنصر المخابرات يتخفى إلاّ في بيروت وفي «الدولتشي فيتا» بالذات المخبر يعلن عن نفسه...

ـ أيوه، أهلاً وسهلاً... ولكنهم كانوا يأتون متكتمين، لذلك قلنا لهم النديم نديم شفهي... راحوا غابوا لكن تضرر أناس من أصحابنا راحوا تحقيق وقصص... هنا اصطادوهم، فلان وفلان...

□ من أطلق اسم الجمعية؟

ـ رميوها... يمكن أنا أسميتهم ولكني لم أعد أذكر...

□ أعرف أن أول شروط الانتساب إلى الجمعية أن يحب العضو صوت أم كلثوم وإذا تغيب كنتم تذهبون إليه في البيت وتأتون به...

ـ يعني جمعية حقيقية... وعلى سيرة أم كلثوم عملت «قصة» بأحد الجلساء لكثرة ما كنا مولعين بأم كلثوم... هذا الشاب كان عقائدي... يرتدي الحزام العريض وال «جينز»، زوّر شخصه وكان يحكي بالفرنسي: أم كلثوم «qu'est-ce que ce»، تضررنا منه... كان يأتي مع عدد من البنات وبتعرف نحنا ما كان عنا بنات، إلاّ اللي بيغامروا... كان يأتي ببنات... كان معه: ماري لويس، أنطوانيت، جوزفين، «العمى عقّدنا»... كان يقول لنا: «شو هيدي أم كلثوم؟ هيدي مخدر» كأنه إذا لم يستمع إلى أم كلثوم بيطلع عالقمر... مرة

زهير السعداوي قبل ان يصبح نديماً وحاجاً



بيروت ١٧

الدولتشي فيتا تكتشف الضبرين

كنت في «الدولتشي» وجاء الأخ الكريم مع رف من البنات... كنت قاعد على جنب فألقى التحية من بعيد، فكرت كيف بدي أعملوا إياها... بيروتي ومن طريق الجديدة ومزور حاله... كل شي الواحد يمكن يزوره إلاّ ذوقه وشخصه...

ـ صاحبنا كان قاعد مع الشلة... مزور حالو بالمرة ومن طريق الجديدة... ناديته باسمه... قلت له: إجا جارك وصاحبك محمد صبيدين... قال لي: ما بعرفوا... سألني محمد صبيدين: مين هيدا؟... قلت له: فلان، قال لي: هيدا من عنا من طريق الجديدة... أجابه: وليه بطلت تعرفني... قاعد مع كم «مومس» وما عدت تعرفنا... أنت ابن جيراننا وكنت شيوعي... قلت: لاه... لاه... وتلقط به... الناس درجات... لام كم «مومس» وعم يحكي فرنساوي. قلت له: ولو ما عدت تعرفوا... جارك شو هالحكي؟ بعدين هيدا بيحب أم كلثوم... وأشرت لمحمد بأن يرفع صوت الراديو ورفع الصوت... أم كلثوم لأول مرة بـ «الدولتشي فيتا»... وركض الجرسونية... إذا الحاج زعل بيزعل مئة واحد... في اليوم الثاني جاء... قال لي: ماذا يرضيك؟ هودي البنات ما عادوا يحاكوني... قلت له: فلان ومن طريق الجديدة وشيوعي... قال لي: خربت بيتي...

□ هل أنت متزوج؟

□ ثلاث مرات تزوجت وثلاث مرات طلقت...

ـ بعد عندك الرابعة...

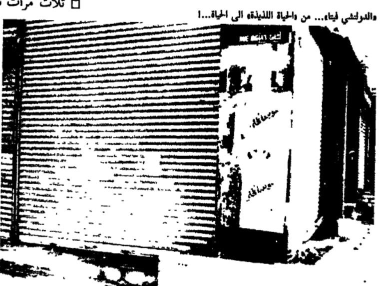
□ الشرع هيك يقول؟...

ـ ما بعرف إذا كان فيي أكمل المشوار وإلا لأ...

□ بتكمل المشوار يا حاج... يخزي العين عنك؟

ـ لنعد إلى «الدولتشي فيتا»... كان يأتي ما هب ودب... كانوا يأتون إلينا من كل مكان... من زمان جاءنا محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان في حينه... هيدا راح ثلاث أربع مرات للسودان وعملوا عليه انقلاب فكان يأتي

«الدولتشي فيتا»... من «الحياة اللذيذة» الى الحياة...!



بيروت في البال

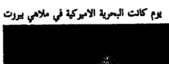
إلى «الدولتشي فيتا»... لعبناه «بولنغ»... صغّرنا له عقله مع أنه كان من كبار المثقفين، خريج «كامبردج» وأديب وشاعر... وكان هناك نديم اسمه فريد الخطيب فقال له: يا دولة الرئيس، كل مرة بتروح بيصير عليك انقلاب بيشحطوك من الحكم، بيدشروك وبتجي بتقعد معنا... يا خيي قعد بفرد مرة وبلا هالرحلات... بتفارنا بتعمل رئيس وزارة وما منلاقيك إلاّ جيت... وضحك محجوب وقال له: معك حق... خلينا مع الندامى...

□ ما هي المدة التي عشتها في «الدولتشي فيتا»؟

- أربع خمس سنين...

□ ومتى كان يبدأ الدوام؟

- والله الشباب، كانوا يخلصوا بالليل... منهم صحافيين وسياسيين وأدباء من مصر وغير مصر... يعني جاء إحسان عبد القدوس، ثروت عكاشة، لويس عوض، أحمد بهاء الدين، محمد الفيتوري... سعيد فريحة كان يداوم...





يوم كانت البحرية الاميركية في ملاهي بيروت

□ وقتها أين كنت تمارس الصحافة؟

في الستينات اشتغلت بوزارة الإعلام، قبلها كنت في جريدة «الكفاح» لصاحبها رياض طه، وقبلها كنت في جريدة «الجريدة» وكنت رئيس الشؤون العربية...

ثم يقول:

□ لنعد إلى السؤال الذي لا بد منه أنت من مواليد أية منطقة وكم تبلغ من العمر؟

- من مواليد بيروت، الوالدة بيروتية والأب ليبي...

□ وأية سنة؟

- ما دمت تصرّ فأنا من مواليد ١٩٢٥...

□ هنا سؤال أخير: الحرب لم تمر على «الروشة» فلماذا أقفل ملهى «الدولتشي فيتا»؟

- اختلف الشركاء...

١٨ بيروت

حديث الليل والنهار مع نديم صافي

كانت بيروت عاصمة العواصم تعيش على مدار الساعة

اطلق على شارع «فينيسيا» اسم شارع «الليموناضة» لأن أريج الليمون يفوح منه

المقاهي صومعة للتفكير لأنك تجلس وتحدم ويفلت تفكيرك من الروتين

عرفته في أوائل السبعينات، كان من رواد مقهى ومطعم «الألدورادو» في شارع الحمراء، وكان عندما يقع نظرك عليه يلفتك إلى أناقته المعهودة ولطفه وكياسته ولباقته اللامتناهية بالإضافة إلى ظرفه ولذعاته!

إنه نديم صافي (من مواليد باتر ـ الشوف ١٩٤١) الذي تقلّب في مناصب عدة إلى أن استقل في مجلة تحمل اسم «لينك ميدل إيست» التي توزع في المملكة العربية السعودية وأنحاء الخليج باللغة الإنكليزية...

□ أخيراً وقعت بين يدينا...

قلت له، من أنت؟

ـ يا رب تنجينا... أنا الليل والنهار وما بينهما،

ـ أنا ابن بيروت من الصنائع الى الرمل الظريف «ليك» شو حلو الرمل الظريف، رجعت سكنت في رمل الظريف، من الصنائع إلى رمل الظريف، كل حياتي تدور في هذه المنطقة... بيروت أعرفها بتضاريسها، أنا أسميها تضاريس. بيروت ليست مدينة نموذجية وإنما نشأت مع الأحداث، نشأت مع التاريخ، كل زاوية وكل زاروب يحدثك عن قصة...

يعني أنا أذكر بيروت الجميز، أذكر الرمل الأحمر، كانت بيروت تلالاً من الرمال، لم تكن مدينة نموذجية وإنما كانت تلالاً، اليوم صارت تلالاً من الإسمنت المسلح.

□ أنت على مقربة من الحمراء، والحمراء كان فيها رمل أحمر...

ـ اسمها حمراء لأنها كانت تحتوي على رمل أحمر، كان فيها صبار. أنا أذكر أول افتتاح لشارع مصرف لبنان، لم يكن هناك مصرف

نديم صافي: «جنتلمان الألدورادو» جنتلمان كل مكان



بيروت في البال

لبنان، وإنما كانت هناك مدرسة الصنائع التي تعلّم الناس المهن. شقوا شارع مصرف لبنان في أواخر الخمسينات...

□ أخبرنا عن علاقاتك مع دور السينما والملاهي؟

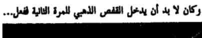
ـ دور السينما كانت مدرسة، أول منطقة مهمة من بيروت كانت ساحة البرج، كانت تجمع تقريباً بين العشر والثماني عشرة داراً للسينما، ملتقى الناس، يذهب الشخص إلى السينما ويشاهد فيلماً فيعلق الفيلم في ذاكرته مدى عمره... أنا أتذكر أفلاما مثل أفلام «كوفاديس»، «ذهب مع الريح»، عندما كنا نتكلم عن الأفلام كنا كمن يتكلم عن مدرسة...

ـ كنا إذا ذهبنا مرة في الأسبوع فإنه حدث من حياتنا... وبيروت لا تعني فقط الليل، بيروت تعني أربع وعشرين ساعة على مدار الساعة.... بيروت فيها أناس يسهرون نهاراً...

□ كيف يمكن أن يسهر الشخص بالنهار؟

ـ السهر بالنهار أهم من السهر ليلاً، السهرات تدرك مفهوم السهر... مفهوم السهر هو الوعي، أن تبقى في حالة وعي... ما هو الشيء الذي يبقيك واعياً؟ هو الشيء المفيد والملذ... نحن كنا نجمع المفيد والملذ. وبيروت كانت عاصمة العواصم، تعيش على مدار الساعة، وعينا عليها هكذا، لم تكن معترك حضارات فحسب، وإنما مدينة مستيقظة على الدوام. كنت إذا غفوت تشعر أنك تسرق من عمر بيروت. النظام الطبيعي لحياة الإنسان ثماني ساعات نوم، ثماني ساعات لك وثماني ساعات عمل...

أنا أسهر إذاً أنا أحيا، وهذا السهر يعني لي الشيء الكثير، البحث عن الحقيقة... ويهمني أن أعرف الإنسان أكثر في عملية السهر هذه... السهر شيء بطبعي المتفائل، أن أغبّ من منهل الحياة، ليس بداعي الخوف وإنما أن أستمتع بكل دقيقة أعيشها سواء كانت دقيقة حزن أو لحظة فرح... أنا لست بالساهر الماجن وإنما أنا أوقظ الإنسان في داخلي عندما أسهر، لأن أجمل الكلام قيل في السهر، وأجمل القصائد قيلت في السهر، وأجمل الإبداع وأروع المواقف تحققت في السهر...



وكان لا بد أن يدخل القفص الذهبي للمرة الثانية فهل...



□ ولكنهم يقولون «كلام الليل يمحوه النهار» فكيف تفسر هذه المقولة؟

ـ خطأ، لأن كلام الليل يصقل في النهار..

□ متى افتتح «الألدورادو»؟

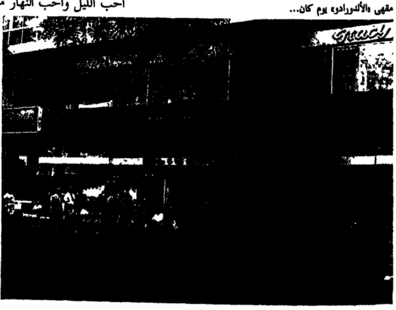
□ افتتح «الألدورادو» في الستينات... وقبله كان هناك محل اسمه «نغرسكو»...

□ يعني مكان «المودكا» اليوم؟

ـ مكان «المودكا» اليوم... الحمرا شارع طويل متفرع من الجامعة الأميركية. الجامعة هي التي عملت المنطقة. هرب الناس من الضجيج والزحام في ساحة البرج إلى مناطق ثانية، هذه تدخل في نطاق تطور البلد... وبيروت كان ينقصها الشوارع الرئيسية. الشوارع الطويلة لأنها تراكم حضارات على بعضها البعض. أنت لا ترى شارعاً في بيروت أطول من كلم واحد...

□ أنت تسهر، عما تفتش، لماذا تسهر؟

ـ الحياة وجهان، وجه نهار ووجه ليل، وبصفتي إنسان أحب الحياة أحب الليل وأحب النهار مبدئياً، ولكني أفضل الليل على النهار لأنه في الليل ترى النخبة... في النهار ترى الكل. من الناحية الجمالية الليل أجمل و«أروق» وأشد سحراً من النهار. النهار المفهوم التقليدي للعمل. العمل مفهوم ممل، مفهوم مزيف، الناس عم تشتغل. الناس تخاف من الليل، أنا أخاف من حرامية النهار أكثر من حرامية الليل. الليل يعني لي الالتقاء مع الإنسان المميز الذي يحب السهر، والإنسان الذي يحب السهر هو بالفعل إنسان مميز...



مقهى «الألدورادو» يوم كان...

□ ما هي علاقتك مع السهر... أي الأماكن تدرجت فيها؟

ـ كنت صغيراً على مرابع «الزيتونة»

بيروت في البال

ولكنني سهرت فيها.. «الإيف» وال «كيت كات»...

□ حدثنا عن شارع «فينيسيا» الذي تسميه شارع «الليموناضة»، لماذا هذه التسمية؟

ـ شارع «الليموناضة» كان يفوح منه أريج الليمون، وأريج الليمون هي الأماكن التي كانت تقذف الفرح في وجوه الناس، هي البساتين التي يرتاح فيها المتعبون في الأرض... كانت هناك حرية في الماضي، وكان شارع «الليموناضة» أريج الليمون وليمون الحرية... شارع «الليموناضة» كان يحتوي على ما لا يقل عن مئتي مربع ومقهى ومطعم ومرقص إلخ... إنما «الليموناضة» هو الشيء المنعش، وكان انتعاشنا في شارع «الليموناضة»... كان ملتقى كثير من الناس، وكثير من الحضارات، وكان التقاؤهم مع الإنسان اللبناني مميزاً.

□ أنت تداوم على الجلوس في المقهى، لماذا؟

ـ لأن المقهى هو المكان الذي تلتقي فيه بالصديق، وتلتقي فيه بالرفيق، والجليس، والنديم... المقهى يأتي في طبيعة الشرق أوسطي أو البحر الأبيض المتوسط. نحن نصف حياتنا نمضيها في ضيافة المقهى... المقهى مكان اجتماع وليس للهو، لأن أروع الحديث الذي يمكن أن يكون على أرفع المستويات يدور في المقهى... كنت أرى مفكرين وأدباء يفكرون ويكتبون في المقهى... ويمكن أن التغيير والبعد عن البيت هما اللذان يولدان هذه الحالة...

شارع الحمراء كما كان في الماضي



□ وهل هناك مقهى مفضل لديك؟

ـ كان عندي مقهى مفضل وهو «الألدورادو» ولكن كل مقاهي الحمراء تستهويني وتجتذبني إليها... أجلس فيها صباحاً، أنظر خلالها إلى الناس من خلال الفترينة والزجاج فأرى أجمل ما في الناس... وهي صومعة التفكير لأنك أولاً تُخدم. وتجلس، لا تضيع أوقاتك في عملية تحضير القهوة وإنما تُخدم... وفي هذه الحالة يفلت تفكيرك من الروتين... كان «الألدورادو» يمثل لي الشيء الكثير أيام الصبا والشباب...

لنتحدث عن الحمراء وماذا ترى فيها؟

ـ أرى أجمل ما في الإنسان، لأن الحمراء ما قبل العام ١٩٧٥

١٨ بيروت

الحياة وجهان، وجه نهار ووجه ليل

كان الناس يأتون إليها من كل بقاع لبنان. أنت في الحمراء إذاً أنت ترى كل الناس وأحسن وأجمل ما فيهم...

□ هل تحب «الروشة»؟

ـ بعض المرات، «الروشة» أحبها عند العصر حيث مغيب الشمس، ساعة الأصيل، وأنت كما تعرف جاء اسم «الروشة» عن كلمة فرنسية (La Roche)، أي الصخرة وسميت كذلك نسبة إلى «لا روش»...

□ ومنطقة الجناح؟

ـ كانت تحضّر لكي تكون منطقة أرستقراطية جداً، ولكن مع الأسف جاءت الحرب ومحت التنظيم المقرر لها...

□ عُرف عنك غرامياتك قبل الزواج.

ـ النساء تمثل لي جانباً آخر من حياتي... كنت أصادق النساء كما أصاحب النساء... ويمكن أن تكون النساء هي الحلقة المفرغة في حياتي... كنت أعيش قصة في كل علاقة، وبعض المرات تأتي العلاقة بالصدفة أو أصنعها... ولا أزال أذكر العلاقات المتعددة التي أثرت في شخصيتي. قيل إنني «دون جوان» ولكنني كنت بعيداً عن هذه التسمية... كنت أصادق المرأة كما أصادق الرجل... والمرأة أقوى من أن تكون سلعة... وأنا أؤمن بالصداقة بين المرأة والرجل بعد حالة الحب... وإذا توطدت العلاقة بعد الحب تكون علاقة صحيحة...



حديث الليل والنهار وما بينهما مع «جوانا ليلاقولوا ولولا هارتل» عضوا «الفرقة الملكية البولينزية»...

□ حدثنا عن زواجك الأول؟

ـ زواجي الأول كان حادثة تسرّعت فيها، ولكنهم يقولون: «الرجل العظيم يتزوج مرتين» فهو يأخذ من سيئات الأولى ويحولها إلى حسنات مع الزوجة الثانية.



ساعة المعرض تهجرت قبل الحرب الى الدكوانة وستعود الى موقعها بعد الحرب

بيروت ١٩

عبد العزيز جركس: كانت أيام خير وبركة!

كانت بيروت عبارة عن «خانات»

وفاة شيخ القبضايات إلياس الحلبي انقذت ألف شخص وشخص من موت محتم

كان التجار يقفلون محلاتهم بوضع كرسي أمام الباب فلا يدخلها أحد

قبل وفاته بأحد وسبعين يوماً قلت لوالدي عبد العزيز جركس:

□ أخبرني عن «المدينة» كيف كانت؟ فأجاب:

ـ بيروت صاحبة مروءة...

□ ماذا عن الشوارع والمحلات؟

ـ كان هناك شارع ويغان ويمتد من باب إدريس للبرج... زواريب في سوق «البازركان»...وكانت الشوارع عبارة عن أسواق تعرف باسم المهن التي تحتويها.

□ ماذا كانوا يبيعون؟

ـ «خام» و«بتيستا» وغيرها من الأقمشة، أما «بياع» الخضروات فكان في بركة السوق...

□ وماذا عن المحلات؟

ـ كانت المحلات بسيطة.... فسوق المنجدين كان قرب «التكنات»... و«التكنات» كانت تجاه العدلية... وقد سميت كذلك لان كل البيارته القبضايات كانوا ساكنين في تلك «السهلة»...

□ وماذا عن الشوارع الأخرى؟

ـ زاروب المبروم، وقد سمي هكذا لوجود عمود مبروم يشبه جدلة الشعر، أي دائري...

ـ وكان أصحاب المحلات إذا ما أرادوا أداء الصلاة أو قضاء حاجة أو تناول طعام وإلى ما هنالك لم يكونوا يقفلون أبواب محلاتهم، وإنما كانوا يضعون كرسياً علامة الإقفال فلا يدخله أحد حتى ولو كان نجل صاحب المحل حيث يبقى في حالة انتظار حتى يأتي والده ويسحب الكرسي، وليس كحال اليوم (شالالوب) أي اختلاط الحابل بالنابل...

عبد العزيز جركس، بيروت صاحبة مروءة



بيروت في البال

□ ماذا تذكر عن دور العرض والملاهي؟

ـ لم يكن هناك «سينمات» وإنما كان هناك «الكراكوز» تسلية تلك الأيام حيث كانت بيروت عبارة عن خانات...

□ وماذا عن تلك الخانات؟

ـ كان هناك أكثر من عشرين خاناً منها: خان المزيكة، أي «البارزان»، أي البوق، وخان الحرير، سوق البازركان كان يضم ثلاثة أو أربعة خانات... سينما دنيا كانت «خان»، كذلك سينما روكسي «خان»، وسينما الأمبير خان رسمي، يعني حمير ودواب...

وكانت هناك سينما الديك، كوزموغراف، ورويال... ثلاث أو أربع سينمات، ثم كثر عدد دور العرض والملاهي من البرج حتى الزيتونة...

وكان هناك «كوكب الشرق» بالقرب من مقهى «القزاز»، قرب محل «أبو عفيف»... «مصيوت»، أي ذائع الصيت... كذلك كان هناك «المرصد»، وسينما أوديون لصاحبها أحمد الجاك، شيخ القبضايات... سينما ريكس، كانت له...

بثوب الجراكسة، يده على سيفه...



□ أحمد الجاك كان قبضاي وباشا؟

ـ الباشا هو ابنه حسن...

□ لك صورة مع سامية جمال وهي ترقص، أين كانت ترقص؟

ـ في سينما «دنيا»...

□ من كان يأتي من الفنانين؟

ـ هي وفريد الأطرش...

□ من كان يرتاد الملاهي أو دور العرض؟

ـ أوه... أولهم الشرقاوي... كانت شغلته البحر... بالميناء... كان يروح على «كوكب الشرق» وكان معجباً ببديعة مصابني... وكان عندما يأتي ليتفرج عليها يحيط به سبعة أو ثمانية قبضايات فكان يحوّط «السهلة» ويصعد... كان لهم قيمة رجال ذاك الزمان...

□ ومن غيره؟

ـ عندما مات إلياس الحلبي شيخ القبضايات عند المسيحيين،

١٩ بيروت

رجال ذلك الزمان كانت لهم قيمتهم

شيّعه ألف زلمة (شخص) وفرغ «الكوكب» يومها من الرواد إلاّ من قلائل... وفي ذلك اليوم بالذات، انهار المقهى فجأة ونجا عدد كبير من رواده لانهم تغيبوا بسبب الحداد، وكنت يومها أمرّ من امامه في طريقي نحو مقهى «القزاز» وسمعت دوي الانهيار ونجوت منه باعجوبة. وقيل يومها ان «ابو عفيف» كان يحفر اساسات مطعمه المجاور فبالغ في تعميقها حتىأدت الى انهيار مبنى «كوكب الشرق».

□ من هو «أبو عفيف»؟

ـ أبو عفيف البرهومي الذي كان يملك مطعماً يقدم الحمص والفول يقع تحت «الكوكب»... يومها طلعت الأغنية الشهيرة...

ـ «مش معقول مش معقول، يهد الكوكب صحن الفول»...

الفؤال يوم كان صحن الفول وليمة شعبية

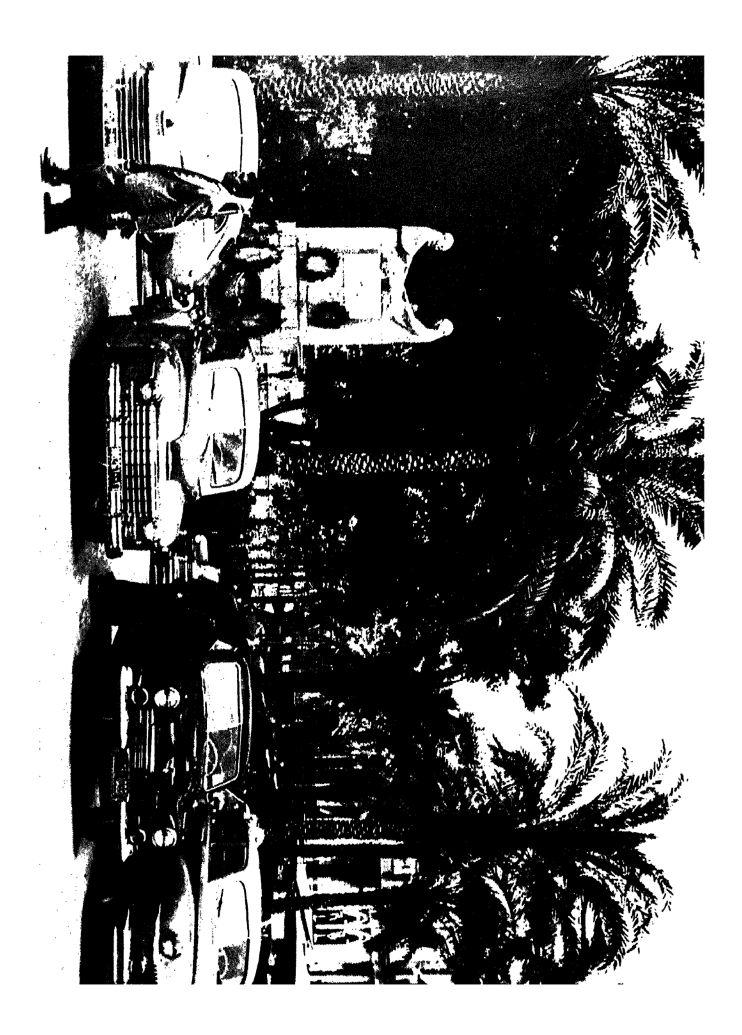




نصب الجندي الفرنسي المجهول يوم كان امام فندق النورماندي!



... هكذا كانت



نصب الشهداء (المرأة الباكية) الذي أقامه الفرنسيون في ساحة البرج وحطمه أحد المواطنين احتجاجاً (بطاقة بريدية)



كانت بيروت قبل نشوب الحرب في العام ١٩٧٥ مدينة لا تنام، ففي النهار كانت تحفل المنطقة التجارية بالخير والسلام والمحبة، كما كانت القلب النابض لهذه المدينة الآمنة، الساحرة، المتكئة على كتف الزمان والأحلام الممكنة...

وعندما نتحدث عن بيروت قبل الحرب إنما نتحدث عن الناس الذين كانوا ينتقلون إلى أعمالهم ومراكز أعمالهم بيسر وسهولة وثقة بالنفس لا تعادلها ثقة، أو الذين يبتاعون حاجاتهم منها، وإلى ما هنالك...

هكذا كان الحال في النهار، أو الجزء الأكبر من النهار، أما بعدئذٍ فلقد كانت المنطقة التجارية تزدحم بمحبي اللهو والتسلية البريئة والتسكع عبر دور العرض التي تزدحم بمحبي الأفلام السينمائية والمسارح على قلتها، أو الجلوس في المقاهي الشعبية منها والعصرية كمقهى «الحاوي» بالنسبة إلى الفنانين...

وكانت بيروت كتاباً مفتوحاً يقرأه كل من يحب الخير والجمال والسلام والأمن...

كان هناك ساحة رياض الصلح، البرج، باب إدريس، ستاركو، الزيتونة، كما كان هناك شارع المصارف والسراي والمعرض وساحة العازارية وشارع بشارة الخوري وطريق الشام إلخ...

يومها لم تكن بيروت تدرك أنه سيأتي يوم تتغير فيه عوالمها... وكما كانت منطقة الحمراء هي الملاذ والهروب والتلطي، كذلك هي اليوم مع كثير من التعديلات...

بناية العسيلي حيث تطالعك الـ «كابيتول» وهي دار عرض على الدوام ومسرح في بعض الأحيان...



بيروت في البال

«شارع الحمراء» بدءاً من مبنى جريدة «النهار»







ساحة رياض الصلح... طار التمثال وبقيت الساحة!



عندما كان الريف يزحف إلى بيروت، سلة على رأسها وطفلها بيدها نحو بناية العازارية، للسوق..

بيروت في البال



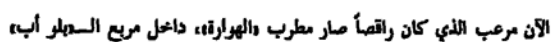
في شارع المعرض حركة لا تهدأ...



في سوق الخضار، كان الخير للجميع



بعد أن أقفلت الابواب على ملهى «الريفولوشين»



الآن مرعب الذي كان راقصاً صار مطرب «الهوارة»، داخل مربع السـ«بلو أب»



بيروت في البال



وقفة اعجاب وتأمل بالممثل العالمي ستيف ماكوين على ملصق لأحد أفلامه

شارع المتنبي قبل أن يعفو عليه الزمن



... وهكذا دُمرت





بيروت
... وهكذا دُمرت

في يوم من الأيام سينتقد الجيل الطالع كل من أشعل الحرب في بيروت بشكل خاص، وفي لبنان بشكل عام، هذا إن لم يكن قد انتقدها اليوم أو بالأمس القريب...

سيقف الجيل الجديد مشدوهاً، فاتحاً فاه، مستغرباً مندهشاً لما جرى...

الجيل الجديد لا يعرف بيروت كما كانت، وإنما يعرف قسماً منها هو «الروشة» و«الحمراء» ومراكز الصيف والشتاء حيث المسابح والمقاهي والمطاعم وما يمكن أن يكون قد استجد...

دُمرت بيروت، أو على وجه الدقة دُمرت المنطقة التجارية منها...

دُمرت ساحة الشهداء تماماً وبقي التمثال، أي تمثال الشهداء يستغيث ويطلب إيقاف الجنون الجماعي المجاني كي لا ينزف دماً أكثر...

كذلك دُمرت منطقة باب إدريس، وستاركو، والزيتونة، وفندق «فينيسيا» وال «هوليداي إن» و«اهتزت» كنيسة مار جرجس لهول ما جرى، وأطلق مسجد منصور بن عساف صرخته واشتعلت الحرائق في المعرض وفي بنايات العازارية، وشارع بشارة الخوري، وطريق الشام، وسينما أمبير الفاصلة بين فريق وآخر وإلى ما هنالك...

محل «قيصر عامر» ملك الألعاب في الشرق لم يعرفه الصغار، ولم يتعرفوا إليه، كذلك دور العرض الكثيرة العدد لم يدخلوها، ولم يبتاعوا الجديد الطريف من محلات «سوق الطويلة» مثلاً أو يأكلوا في «العجمي»...

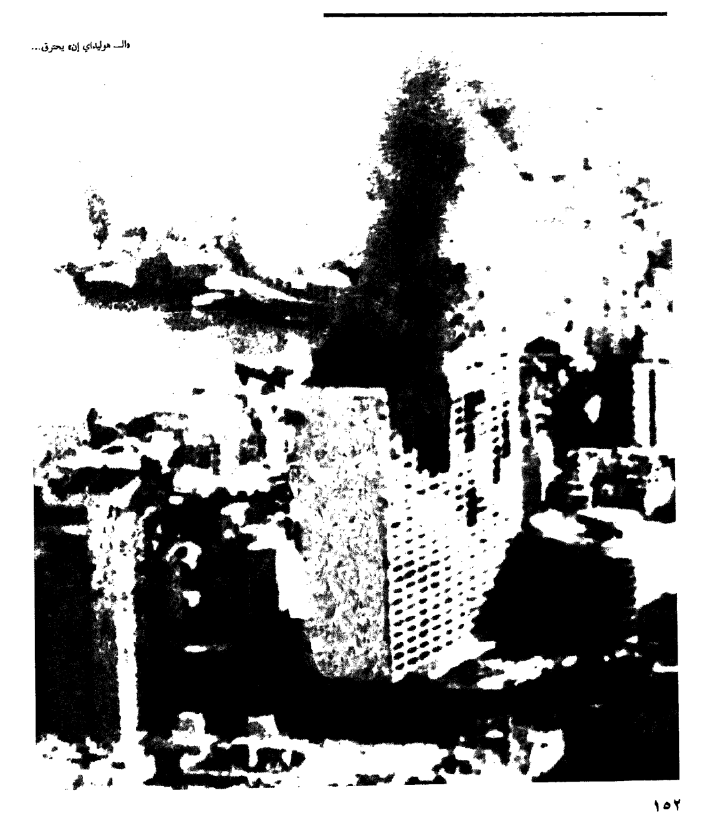
لم يقفوا أمام تمثال الزعيم الخالد رياض الصلح ليقولوا: «لن يكون لبنان للاستعمار ممراً، ولا لاستعمار الأقطار العربية الشقيقة مقراً...».

الجيل الجديد استيقظ وقد تغيّرت معالم بيروت، ولكن لا بأس، فالأوطان لا تبنى بسهولة وقد دفع لبنان ضريبة الاستقلال فعلياً، فهل ينعم بالاستقلال بعد أن توقفت مذبحة الحرب؟!

طارت الكتب ولم يبق من مكتبة أنطوان في باب ادريس سوى الاسم...

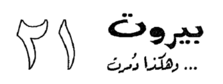


«الـ هوليداي إن» يحترق...



بيروت

... وهكذا دُمرت



بركة «العنتبلي» كانت تنعش القلب فصارت هماً على القلب!

بيروت في البال

اي فيلم جديد يمكن أن تعرضه سينما «روكسي»؟





سوق الخضار قرب سينما والاوبرا. دمار من كل جانب...

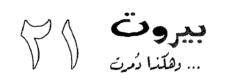
أطرف ما قيل عن الزيترنة بأنها تكفر عن ذنوبها؟!



بيروت في البال

بيروت عندما كانت تحترق





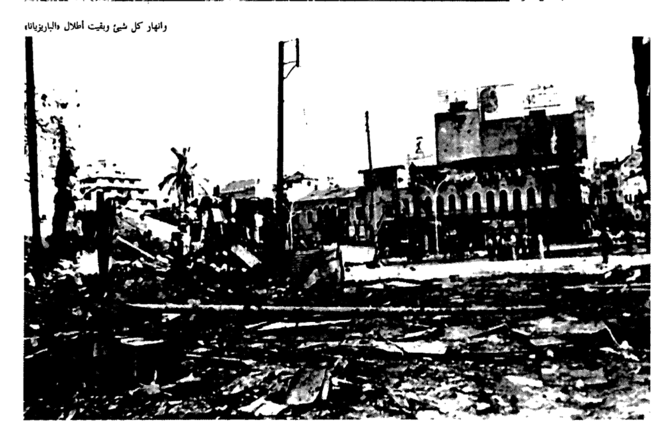
٢١ بيروت

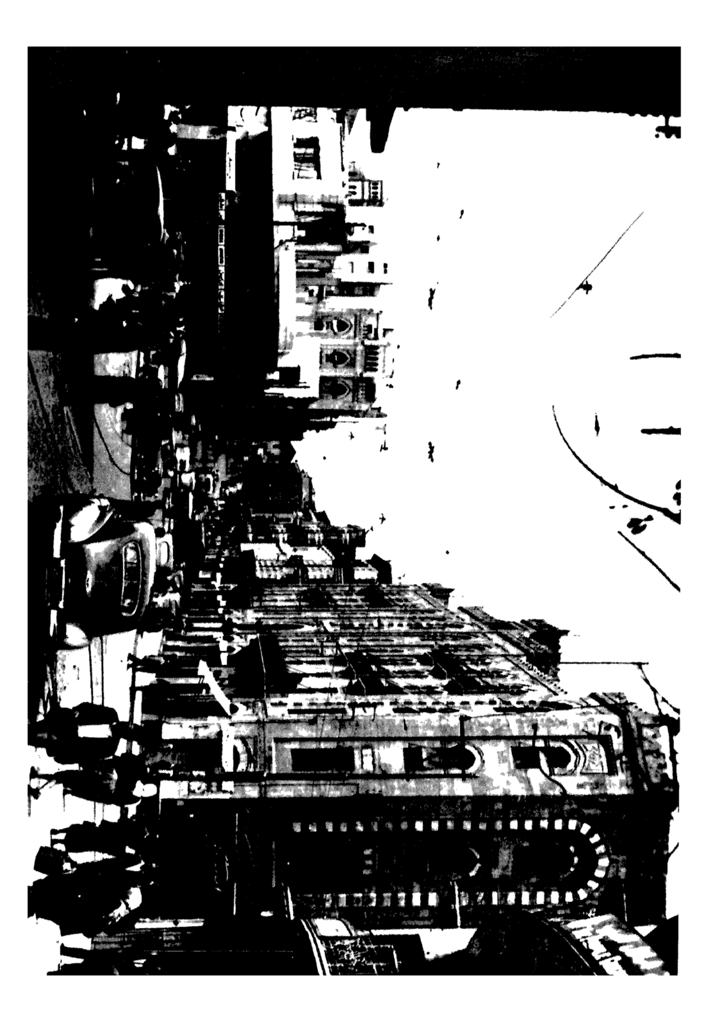
... وهكذا دُمرت



قفا نبك من ذكرى!

وانهار كل شيئ وبقيت أطلال «الباريزيانا»

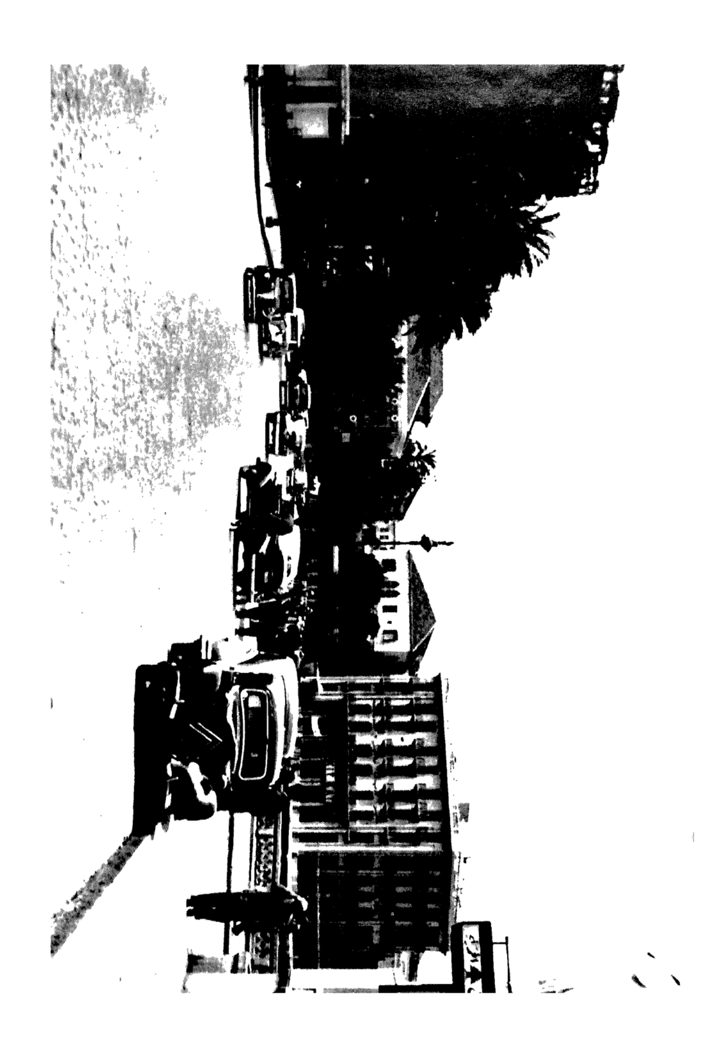




- شارع «ويغان» ويبدو مقر بلدية بيروت الذي تقرر ترميمه والحفاظ على طابعه العمراني المميزا

مستقبل الأيام الماضية

وماذا يخطط لها



...حادة الفرنسيين قبل أن يغزوها الاعمار تم الدمار

٢٢ بيروت
ماذا يخطط لها

يطرح السؤال نفسه: كيف سيكون الوسط التجاري؟

إن مشروع إعمار بيروت هو مشروع المشاريع...

ولقد وضع مخطط إعادة إعمار الوسط التجاري في العام ١٩٧٧ ثم عدّل العام في ١٩٨٢ وتمت المصادقة عليه، ثم خضع لتطوير جديد في العام ١٩٨٦، وهذا يعني أن فكرة الشركة العقارية هي ابنة قوانين الفرز والضم، وقد اتفق على تسميتها بـ «الشركة اللبنانية لتطوير وإعادة إعمار وسط مدينة بيروت»، وأما دورها فهو إبراز تلك العقارات المحددة أرقامها في اللوائح وسائر الحقوق الجارية وردم جزء من البحر قبالة الوسط التجاري، كما يتضمن ترتيب الأراضي الناتجة عن عملية الردم وتحويل أشغال البنية التحتية العائدة لها...

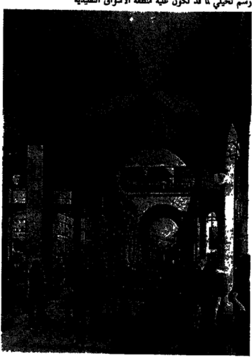
وتقوم الشركة بجميع عمليات الإعمار الضروريةفي المنطقة التي يحدها بولفار فؤاد شهاب، المعروف باسم «الرينغ»، نزولاً حتى البحر، ما بين «برج المر» حتى «التباريس»، ومن الخط البحري من المرفأ شرقاً حتى مسبح «السان جورج» حتى «برج المر» مروراً بفندق «فينيسيا» و «هوليداي إن» المعروف باسم «طلعة فينيسيا» وأما الحدود الشرقية فهي تبدأ من شارع جورج حداد الملاصق لمعهد «الفرير» في «الجميزة» إلى الخط الممتد من محلة «التباريس» حتى المرفأ...

وأما الأسهم فهي اسمية، وتقسم الى قسمين: التقديمات العينية والمساهمات النقدية...

ولعل ما يستوقف الانتباه ايضاً تحويل جزء من مكب «النورماندي» الى حديقة عامة مساحتها ستون ألف متر مربع...

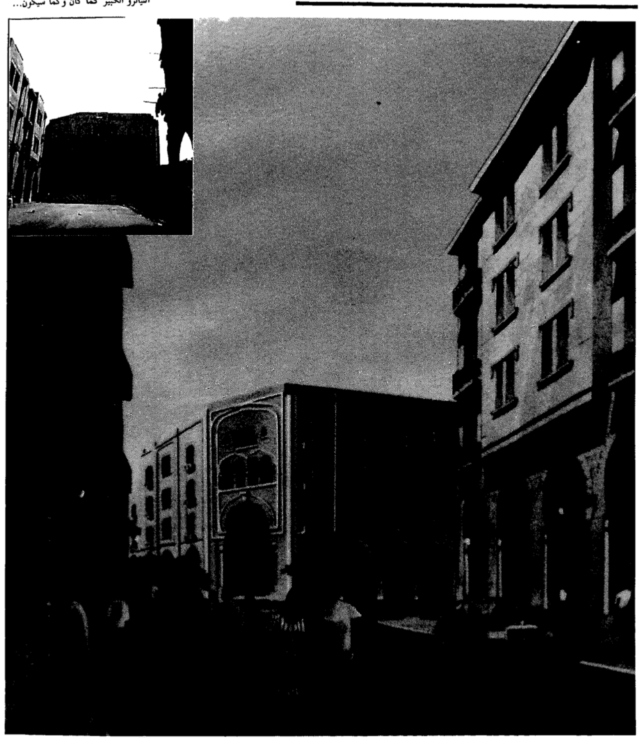
وسيحافظ على تراث بيروت المعماري عن طريقتين: أولاً بالتنقيب عن الآثار، ولا سيما في المنطقة الممتدة بين ساحتي الشهداء والنجمة، وثانياً عن طريق ترميم الأبنية التاريخية القديمة ذات الطابع المميز في أحياء عدة أبرزها «فوش»، و«اللنبي» و«المعرض»، ودور العبادة من مساجد وكنائس، والمباني الحكومية كالسراي القديمة ومبنى البريد وغيرها...

رسم تخيلي لما قد تكون عليه منطقة الاسواق التقليدية



بيروت في البال

التياترو الكبير كما كان وكما سيكون...





«بلدية بيروت» أطلال الماضي رونق المستقبل...



بيروت في البال

شارع «فوش» من حجارة إلى نضارة...





٢٢ بيروت
ماذا يخطط لها



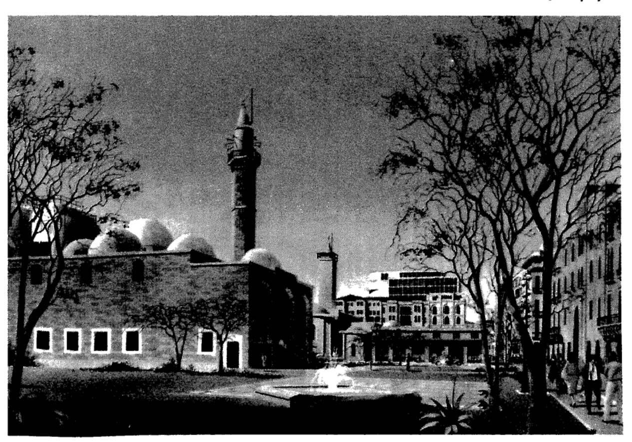
ساحة رياض الصلح الحالية تنتظر مستقبلها...



بيروت في البال



مسجد الأمير المنصور بن عساف، يبقى صامداً في الماضي وفي المستقبل...



بيروت ٢٣

فهرس الاعلام

بيروت ٢٣

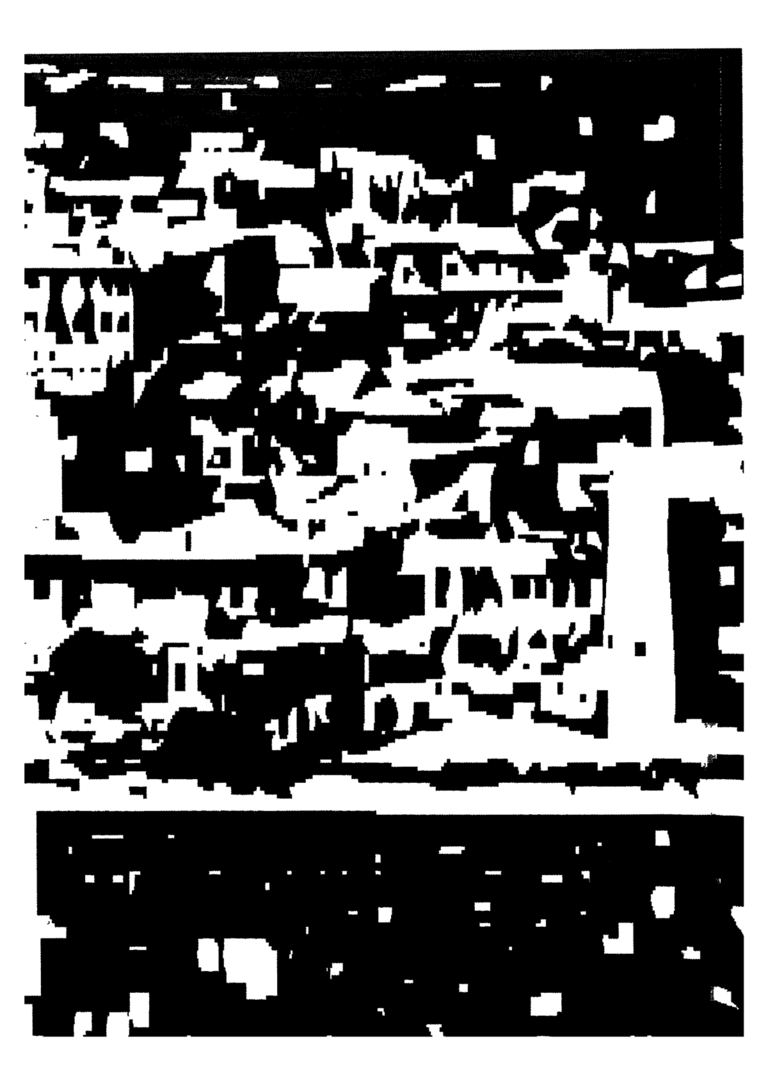
فهرس الاعلام

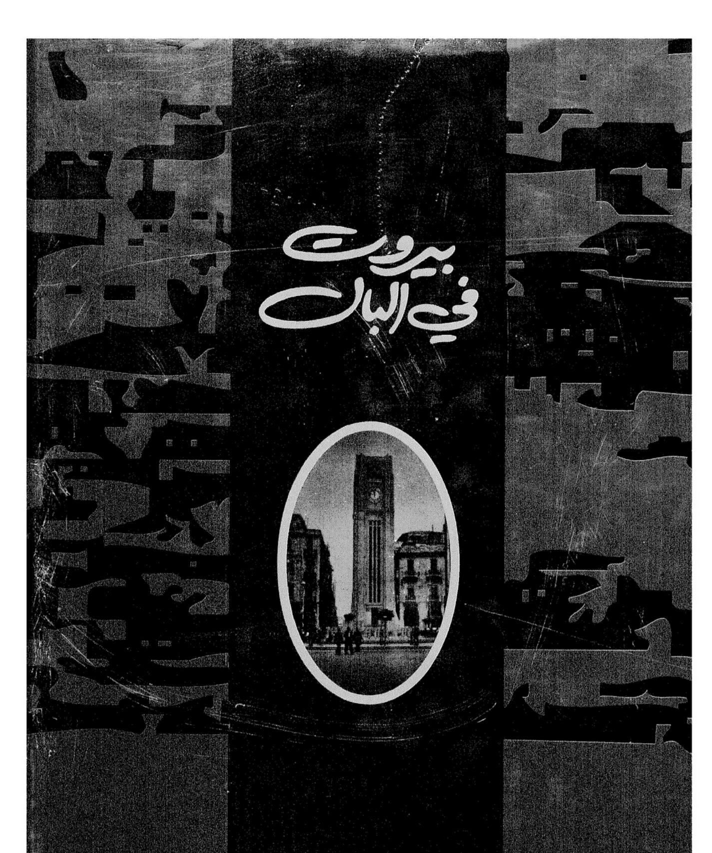
بيروت ٢٤

فهرس الاماكن








بيروت في البال